# دون قلب

عبير حافظ

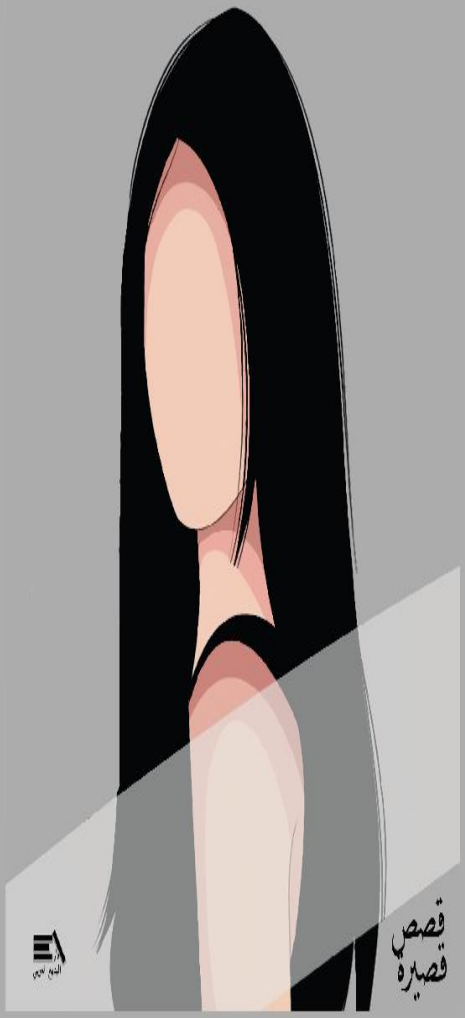



قصص قصيرة

دار البديع العربي

دون قلب عبير حافظ قصص قصيرة

كانت عيناهُ مثبتتَين علي وجهي وأنا أُسهبُ في الحكيَ.. وكأني أتحدثُ إلى نفسي.. لم يقاطعْني إطلاقاً؛ مما أغراني للبوحِ أكثرَ فأكثرَ عن تفاصيلَ أدق.. كانتْ عيناهُ همزةَ الوصل، ينقلهما ما بينَ يديَّ المرتعشةِ وشعري أثناءَ حركتِهِ مع مرورِ بعضِ النسيمِ...

حتي كدتُ أشعرُ أنه لا ينتبهُ لمضمونِ حديثي.. أكملتُ حكاياتي المختلفة .. وأنا أشيحُ بعيوني عنهُ لأجدَ كفاً ممدودةً نحوي تدعو كفي لتهدأ بداخلِها...

سَرَتْ رعشةٌ بأوصالي.. ليست ارتباكةً لكنها رغبةٌ.. إنه مريبٌ ومثيرٌ للغايةِ.. جسدُهُ الساكنُ يُغريني لأقتربَ.. فلا خطرَ ولا شكَ في نوازعِه.. إنه مجردُ ردِ فعلٍ!

دار البديع العربي
01061635162

تصميم
مريم ياسر

البديع العربي
ranyhmtwlyblat@gmail.com
002-01061635162
002-01156655890

# دُونَ قلبْ

عبير حافظ

قصص قصيرة

دون قلب ..

عبير حافظ

ت / 01061635162 - 002

رقم الإيداع: 14914 -2023

الترقيم الدولي: 978-977-94-6547-0

إن الآراء الواردة في هذا المصنف لا تعبر بالضرورة عن آراء وتوجهات الناشر وإنما تعبر عن رأي المؤلف فقط.

يمنع نشر أو نسخ أو ترجمة هذا المُصنف أو جزء منه بأي وسيلة تصويرية أو إليكترونية أو ميكانيكية بما فيها التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها المعلومات واسترجاعها بدون إذن كتابي من المؤلف طبقاً لقانون حماية الملكية الفكرية رقم 82 لسنة 2002 والقوانين المماثلة لها.

# الإهــداء

**إلى** ... قطع الفراولة

حبات السكر

**إليك** سيدتي ..

يا من يريدك الجميع ولا يستثنيك أحد

**عبير حافظ**

□□ يبدو حجرًا

اليومَ كنتُ أسيرُ بلا هدفٍ بعد خروجي من البيتِ ألتمسُ بعضَ الهدوءِ. كنتُ بحاجةٍ لأختليَ بنفسي، وبالبراح. مشيتُ كثيراً حتى تورّمَتْ قدماي.. مشيتُ بسرعةٍ كأني أحاولُ اللحاقَ بموعدٍ لم يُبرمْ بعد.. لم يلفتْ نظري شيءٌ سوى مقعدٍ على جانبِ الطريقِ تحت شجرةٍ.. مقعدٍ للعامة . ولم أستطع تمييز من يجلس عليه أهو تمثال ام بشري مثلي لا يكاد يحرك ساكنا ولأني لا أعملُ عقلي كثيراً في مثل تلكَ الأثناءِ بل إني أحاولُ تعطيلَهُ وتفريغَهُ قدرَ المستطاع، فقد تقبلتُ فكرةِ أنه تمثالٌ وضعتهُ الدولةُ هنا كمنظرٍ تجميلي..

افترضتُ أنه وُضع هنا حديثاً لأنه يبدو جميلَ المظهرِ.. لامعاً غيرَ متربٍ.. اقتربتُ لأجلسَ بجوارهِ فهالني أنه يتنفس! هل هو نوعٌ جديدٌ من غريبي الأطوارِ الذين يتساقطون على هامشِ الحياةِ؟ حجريُّ المظهرِ... ملامحٌ ثابتةٌ وحركةٌ شبهُ آليةٍ. استفزَّ فضولي.. جعلني أبحثُ عن الممنوع فيه لأجدَهُ مرغوباً. مثيرٌ للغايةِ.. يمنحكَ قدْراً من الحريةِ لأن تلمسه وتتحدثَ إليهِ وتبحثَ في تفاصيلِهِ.. لا تستطيعُ توقعَ إن كان يتجاهلُكَ أو لا يهتمُّ بك، هل يا ترى بالفعلِ يعاني من قصورٍ عقليٍ ما..؟!

لا يهم.. كل مَن هنا في الغالبِ خرجوا للهروبِ من أزماتِهم وضيقِ حيزِ النفسِ عندما تفيض بضيق حيزها. بينما أتفحصُهُ على مضضٍ باغتَني بصوتٍ حانٍ:

- ممكن أساعدك؟

التفتُّ يميناً ويساراً لأتأكدَ أنه المتحدثُ.. صوتٌ عطوفٌ! وأيضا يريدُ مساعدتي؟! أنا التي كدتُ أضعُ في يده نقوداً! فقط صوتٌ هادئٌ ووجهٌ جامدٌ، خالٍ من التعابيرِ.. جسدٌ متحجرٌ.. كدتُ للوهلةِ أشكُّ أنه إنسانٌ. فكرتُ بسرعةٍ فوجدتُ أنها فرصةٌ عظيمةٌ يمكنني اغتنامُهَا لأتحدثَ معه بلا هدفٍ.. مجردُ (أُذُنٍ) تسمعني ...

بدأتُ الحديثَ عن أحوالي وما جعلني أخرجُ من بيتي، أهيمُ على وجهي. لم يخطرْ ببالي أنْ أسألَهُ عن أي شيءٍ يخصُّه، لأنني هكذا أريدُهُ: (شيئاً ما)، (إنساناً آليا).

كانت عيناهُ مثبتتَينِ على وجهي وأنا أُسهِبُ في الحكيِ.. وكأني أتحدثُ إلى نفسي.. لم يقاطِعْني إطلاقاً؛ مما أغراني بالبوحِ أكثرَ عن تفاصيلَ أدق. عيناهُ همزةَ وصلٍ، ينقلهما ما بين يديَّ المرتعشةِ وشعري أثناءَ حركتِهِ مع مرورِ بعضِ النسيمِ... كدتُ أشعرُ أنه لا ينتبهُ لمضمونِ حديثي. أكملتُ حكاياتي المختلفةَ.. وأنا أشيحُ بعيوني عنهُ لأجدَ كفاً ممدودةً نحوي تدعو كفي لتهدأ بداخِلِها...

سَرَتْ رعشةٌ بأوصالي .. ليست ارتباكةً لكنها رغبةٌ.. إنه مريبٌ ومثيرٌ للغايةِ .. جسدُهُ الساكنُ يُغريني لأقتربَ.. فلا خطرَ ولا شكَ في نوازِعِه.. إنه مجردُ ردِ

فعلٍ! مددتُ يدي نحوَه فاحتضنها بكفهِ الكبير، كيفَ لشخصٍ يبدو صخرياً مثلكَ أن يكونَ بهذا الحنو؟! سألتُه نظراتي... بدأتْ ملامحُهُ تعطي تعبيراً... ابتسامةٌ خفيفةٌ ملأتْ وجهَهُ..

كدت ألقي بنفسي بين ذراعيهِ لأنعمَ بجانبٍ من ذلك الأمانِ على هذا الكتفِ... لكنه بدا في عجلةٍ من أمرِهِ وهو يُخبرني هامساً: يا جميلةُ هوني على نفسِكِ.. الأمرُ لا يستحقُّ كلَّ ذلك الاهتمامِ، والحياةُ لا تؤخذُ بتلكَ الجديةِ.

تعجبتُ كثيراً منه؛ فهو الذي تركَت الحياةُ صفعاتِها واضحةً على وجهِهِ وروحِهِ ليبدُوَ هكذا. أنهَى كلماتِهِ ووقفَ مودعاً.. لم ينتظرْ مني رداً، لكنه سارَ مبتعداً.. وكأن الكونَ بحوزتِهِ وتحتَ أمرِهِ؛ يجلسُ هنا عندما يريدُ ويغادرُ وقتما يرغبُ. لم ألوحْ له مودعةً وبقيتُ مكاني.. أنتظرُ .. هل سيعودُ مرةً أخرى؟

□□ فلتَنشَقِّ الأرضُ

خرجتْ من منزلها في الصباح الباكر بغير هدَى، بعد ليلةٍ حافلةٍ بالأحاديثِ المحبطةِ والقراراتِ المتعسفةِ. خرجتْ إثرَ مشادةٍ كلاميةٍ بينها وبين والدتِها، بحجةِ الذهابِ لصديقتِها المقربةِ علّها تهدأ برفقتها وتعود بحالٍ غير الذى خرجت عليه. لا تعرفُ أين تذهب.. تهيم على وجهها بعد أن ضاقتْ عليها الأرضُ بما رحبتْ.. مشَتْ هديرُ كثيراً حتى وجدتْ نفسَها وقد بَعُدت عن بلدتِها حيثُ الفراغ ..

على قارعةِ الطريقِ جلستْ تتأملُ ما تركَتْهُ وما هو آتٍ، تتماوجُ بداخلِها الأمنياتُ، وكيفيةُ إرضاءِ جميع أطرافِ أسرتها وعلى رأسِهم (هي)... تعصف بها الحلولُ عصفاً.. تستفزها المخارجُ المشروعةُ لكنها (مُحرمة)، تطيحُ بها أرضًا، تورطُها في دوامةٍ من الأفكارِ المتدفقةِ، والأطروحاتِ الجارفة.

تفترشُ الأرضَ، يتملكُها اليأسُ، تتلقفُها أطرافُ الأحاديثِ.. تأخذُها الهواجسُ لدواماتٍ من البراح، تفصلها عن كل معطياتِ المكان.. تكاد لا تتيقنُ سوى من موضع جلستِها. تستسلم للوقت.. تستندُ بكلتا يديها خلفَ ظهرِها على الأرضِ، ترفع رأسَها عالياً قبل أن تَخفض نظرَها مرةً أخرى. بحاجة لصديقٍ يهتم لأمرها، يتعاطف مع قضيتها.. (لأرضٍ صلبةٍ).. هكذا اتجه

ولاؤها لموضع تحملِ ثقلِ ما تشعرُ به، مكانٌ آمنٌ وإن كان مؤقتاً يبتعد بها عن تسلطِ أفراد عائلتها.
انطلقتْ تتحدثُ بعفويةٍ وتبوحَ دون حواجزَ، أو خوفٍ من رد فعلٍ يُحبطها:
"أيتها الأرضُ هيا ابتلعيني؛ أليس خلف قشرتِكِ فضاء؟ أنا لا أستطيع الطيرانَ، ساعديني كي أنفذَ من خلالِك.. فلتنشقي وتبتلعيني. أعلمُ أنكِ تبحثينَ عن سببٍ منطقي لتفعليها من أجلي، حقا نسيت أن أخبرَكِ أنني اليوم سيتم عقد قراني على (ماهر) بعد نجاح ثلاث محاولاتٍ للهروب. كلما غمرني اليأس تمرين بخاطري، وأحدثُ نفسي: آه لو تنشقين وتبتلعيني!

يقولون إننا بعد الموتِ تصعدُ أرواحُنا للسماء، وأعلم أن الله في السماء، وأننا خلقنا هنالك حيث الجنة التي هي في السماء، ولكن وحدكِ تشغلين مساحاتِ التطلع لديَّ للخلاص.

فكرةُ الانتحار باتتْ ساذجةً.. أتجرعُ سمًا! أو ألقي بنفسي من مكانٍ عالٍ لأتهشم ثم أموت ويأخذون جثتي ويدفنونها في باطن الأرض! جميعها طرق لا تغريني.. فلماذا لا نفكر خارج الصندوقِ وَنَنْفُذ للسماء، من الطريق الأقرب إذن؟! محدودو البصيرةِ ينظرون لأعلى، والمخرجُ تحت أقدامِهم، فقط لو تنشقين؟!

هيا انفرجي.. أعلم أنكِ تنتظرين تفشي الدمارِ وحدوثَ أمرٍ كارثي جللٍ،.. لما كل تلك الضجة؟ سأقترح عليكِ اقتراحًا "فلتبتلعيني أنا واتركي البقية يصولون ويجولون فوقكِ. جميعهم ينظرون للسماء عندما يتمنون الفرجَ إلا أنا أنظر إليكِ، أظل اتأملكِ. ألا يكفيكِ هذا؟ لا أحد منهم يُدرك قيمتَكِ ففيكِ الخلاصُ.. والخلاصُ الأخيرُ سيكونُ بانشقاقِكِ أيتها السماء وانتهاءِ العالمِ. وأنا عالمي متشقق ومهشم لا حاجة لي به.

لستُ مأساوية ولا أعاني الاكتئابِ كما تعتقدين... لا تنظري إليّ هكذا رجاءً؛ تخيلي معي رحلتي من خلالِك كيف ستكون شيقةً.. ستختلف الرؤى والنظرياتُ حولَكِ تمامًا.. ستصبحين حديثَ الساعةِ وموضوعَ المنصاتِ. قطعَ عليها سيلَ أفكارها مرورُ شاحنةٍ كبيرةٍ مخلفةً وراءها دخاناً كثيفاً ملأ رئتيها. ظلت هديرُ تسعلُ وعيناها تدمعان.. شعرت بضعفها يخرج لها لسانَهُ، وتجسدت أمامها بشريتُها، كالضميرِ تؤنبها وتصيبُها كوخزِ الإبر.

صمتت قرابةَ العشرِ دقائقَ، متواصلةً قبل أن تُكملَ هذيانَها:
"أنتِ محقةٌ؛ لو انشققتِ سيهلك الكثيرون ممن ليس لهم رغبةٌ مثلي بالفناء، ولا ذنبَ لهم سوى أنهم محدودو الرؤى. فماذا عن ثقبٍ صغيرٍ بحجمي، كبئر مثلا؟ يا

إلهي! لقد أصابتني القشعريرةُ، قشعريرةُ رعبٍ وتذكرتُ خبرَ (سقوطِ طفلٍ بالبئرِ). ظلامٌ ووحشةٌ.. حرارةٌ عاليةٌ كلما توغلتَ فيكِ، انعدمُ الأوكسجين... يا إلهي!

أشعر بالاختناق. تهم لتقف.. ترفعُ رأسَها عاليًا.. تنظر للسماء وتستنشق بعمقٍ ملءَ رئتَيها وتردد:
"السماء.. السماء"، ثم تجلس مجدداً على الأرضِ في يأسٍ تصرخُ باكيةً بصوتٍ مرتفع هستيري "انتهت حلولُ الأرض، الأمرُ متروكٌ للسماء."

□□ ليتَها تَدري

بينما كانت جالسةً، تتصفحُ إحدىَ الرواياتِ، مستغرقةً في خيالِها مع الأحداثِ، متماهيةً مع ما يدورُ بين أروقةِ الكتابِ، كانت هُناك قصةٌ أخرى تنشأ بين جنباتِ أحد جدرانِ غرفةٍ بالمبنى المقابلِ ...

في ليلةِ صيفٍ خانقةٍ طالتْ بارتفاع درجاتِ حرارتِها مِزاجَهُ ليضطربَ ويخرجَ لبلكونةِ غرفتِه متأففاً وقف (حسام) يشعلُ سيجارةً، ينفثُ دخانَها في الهواءِ الطلقِ بعيداً عن انزعاج والدتِه واتهامِه بأنه الشريكُ المتآمرُ مع حساسيةِ الصدرِ خاصتِها .

يردد على سمعها في كل مرةٍ حقيقةَ أنه ليسَ مُدخناً؛ فقط من حينٍ لآخرَ يفعلها كنوع من الترفيه. لا يريد الخروجَ للجلوسِ برفقةِ أصدقائِه كما تعوَّدَ، فاتخذَ من بلكونةِ غُرفتِهِ نافذةً على العالمِ الخارجي. وقف بملابسِهِ الصيفيةِ (بنطال قصير وقميص بنصف كم)، بدت منه عضلاتُه والتي أهدرَ لأجلِها الكثيرَ من الوقتِ والجهد والمال في صالةِ الألعابِ الرياضية.

وقف يتأملُ تفاصيلَ الشارعِ الجديدِ والذي انتقل إليه مع عائلتِه.. منطقةٌ هادئةٌ راقيةٌ راقت له كثيراً.
راحَ يستكشفُ البناياتِ المقابلةَ بعينيه، فرآها بنظرةٍ خاطفةٍ لكنها خطفت انتباهَهُ وجعلته يُطيلُ النظرَ دون

قصد. لم يكن يوماً متلصصاً لكنه الفضولُ بعد مللٍ دفعَهُ دفعاً لمتابعةِ المشهد..

فتاةٌ عشرينيةٌ بملابسَ لا تناسبُ المنزلَ وكأنها أتتْ للتوّ من الخارج. لا يعلم إن كان محقًا أم أنها آخر صيحات (الموضة) للفتيات، لكنها على أية حالٍ قد بَدَت في قمة الأناقة.. أناقةٌ ملفتةٌ وبسيطةٌ في نفس الوقت.
تُظهر أنوثَتَها ببراعةٍ.. تمتلكُ جسماً أقربَ للنحيلِ لكنه متناسقٌ. ملابسُها المتحررةُ والتي أظهرت أكثرَ مما أخفتْ أضفتْ تفاصيلَ جديدةً لم تكن لتُرى لو أنها ارتدتْ الفضفاضَ من الزيّ .

تجلس كقطةٍ منزويةٍ على كرسي وثيرٍ يحتضنُها في حنو. كان كلاهُما مندمجاً مع قصتِه..

هي: تتسارعُ أنفاسُها وتهدأُ مع كل انفعال لأبطالِ روايةٍ، يبدو أنها ذات أحداثٍ مشتعلةٍ...
هو: كالمشدوه، مُنقادٌ نحوَها مأخوذٌ من مُحيطه، يكاد لا يتحقق من ملامحِها بشكلٍ كافٍ لكنها كانت تجلس في وداعةٍ ورقةٍ متناهيةٍ .. تنبض بالأنوثةِ بلا مجهود. تتفاعلُ دون أن تشعرَ مع الكلماتِ وتتنقلُ بخفةٍ بين السطور .. بطريقةٍ جعلتهُ يتوقعُ ما يجري بين يديها ... تقضمُ أظافرَها توتراً .. ومن ثم تضربُ بكفها البضِّ مِسنَدَ الكرسي متفاعلة مع الأحداث.. ثم بعد وقتٍ ليس

بقليلٍ تهدأ وتبتسم... ومن ثم تغوصُ بين طياتِ الكرسي العميقِ الذي شعرَ بالغيرةِ منه. فجلستُها تبدُو رومانسيةً، وكأن بينهما علاقةً قديمةً وألفةً كبيرة ...

يكادُ (الكرسي) يحتضنها عندما تتورَّد وجنتاها خجلاً وهي تقلب الصفحةَ بلهفةٍ لتتابعَ مشهداً ما بداخل الروايةِ مندمجةً؛ وكأن الغرفةَ باتت دارَ عرضٍ وما بين يديها شاشةٌ صغيرةٌ.. حتي أنه شك للحظاتٍ أنها ممسكةٌ بـ(تابلت) وتشاهد شيئاً ما، رغم وضوح الكتابِ بين راحتيها. شكٌّ اندماج.. شكٌّ ممتعٌ يجعلك تنضمُّ برُوحِك لمكانٍ لستَ فيه، بل تشعر بالراحةِ لا تريدُ العودةَ. شعورٌ يشبه متعةَ الإدمان.. أو الأحلام.. منطقةٌ هلاميةٌ وبقعةٌ زمنيةٌ لم يتطرق إليها أحدٌ سواك.

بَدت متثاقلةً وهي تعتدلُ في جِلستِها قبل أن تُبعدَ شعرَها المنسدلَ على وجهِها وكتفيها وترجعَه للخلفِ، ثم تركت الكتابَ على الكرسي ووقفت تبحثُ بنظرها عن شيءٍ ما، لكنها لم تجده... فبدأت تتحركُ من مكانها وغابت عن المشهد ..

لم يعد يرى من زاويتِه سوى الكتاب .بدى ساكناً! شعر بوابلٍ من الفضولِ يهاجمُه .. وتعجب لحالِه وحالِ الكتاب والكرسي؛ أصبحوا جميعاً بلا حراك .. وكأنه أُسقط من السماءِ ليرتطمَ بالأرضِ دفعةً واحدةً؛ فقد كانت

وحدَها تمنحُ ثوابتَ تلك الغرفةِ بهجتَها.. ثمَّ بعد وقتٍ ليس بطويلٍ عادت من جديد، فتطلعَ بلهفةِ الأطفالِ لعودةِ ذويهِم. كانت تظهرُ وتختفي وهي تتحركُ بين جنباتِ الغرفة.. قبل أن تتجه نحو النافذةِ لتُغلقَها.

-هكذا بكل بساطة؟!

تمتم بذلك السؤال بصوتٍ خافتٍ يملأه الإحباطُ. وقبل أن يدخلَ دوامةً من الأفكارِ عاد متوتراً للداخل وكأنه يحتمي بجدران غرفته. يتناول علبة السجائر بأصابعَ مرتعشةٍ يخرج إحداها بحركةٍ آليةٍ دون الشعورِ بلذةِ تقبيلِها كما اعتاد، وبحركةٍ لا إراديةٍ يتجهَ نحو الشرفةِ مرةً أخرى، لكنه يتراجعَ كي لا يتذكرَ أنها لا زالت بالداخلِ، تجلس بين طياتِ ذلك الكرسي المحظوظِ أكثر منه وبطريقتِها الخاصةِ التي أثارته دون أن تدري .. وليتها تدري...!!!

ردَّد ذلك بينه وبين نفسِه قبل أن يستسلمَ لفكرة أنه حدثٌ عارضٌ ..

# □□ صفقة العمر

استقبَلها موظفُ الاستقبالِ بمدخلِ البابِ الرئيسي المؤدي لصالةِ الانتظارِ، مُتسائلاً بلا كلماتٍ.. فقط نظرةٌ موجهةٌ مع هزةِ رأسٍ، وتمتمةٌ تَعني" تحدَّثي". حسنا فقد اعتادت الأمرَ. بادرته:

-سحب

فأشار لها باتجاهِ الماكينةِ

-اختاري أولَ بندٍ

في كلِّ مرةٍ يسألُها، رغمَ أنه إجراءٌ شخصي بينها وبين آلةِ اختيارِ رقمِ (التلر) لتحديدِ دورِها في الانتظارِ.. يتصرفُ بطريقةٍ آليّةٍ لا يثقُ في ذكاءِ الأغلبيّةِ، ويخلطُ بينَ مساعدةِ كبارِ السن وكبارِ الهمةِ.. تناولت الورقةَ لتقرأَها: الرقم ٦٤ عدد المنتظرين ١٠

وكأن آخرَ ثلاثِ كلماتٍ همسنَ بأذنِها، سمعتْ وقعهنَّ بداخلِها (عدد المنتظرين ١٠) ذلك الرقم يطاردُها منذ عامٍ حتى أنه على ورقةِ الانتظارِ بالبنك !

أتتْ سهيرُ لسحبِ مبلغ من حسابها الجاري لتُوقفَ (كارت السحب) خاصتَها فهو بحاجةٍ للتجديد.. تذكرتْ ذلكَ فورَ جلوسِها فانتصبتْ واقفةً من جديدٍ عائدةً لموظفِ الاستقبالِ تطلبُ رقمَ خدمةِ عملاءٍ لتجدَه رقم (٥١٠) تناولت الرقمَ وتحركتْ على الفورِ تبحثُ عن موضعٍ استراتيجيٍّ مناسبٍ وسطَ الصالةِ لتكونَ ما بينَ

موظفي الصرفِ وخدمةِ العملاءِ.. تنظر للورقتينِ ورقم (١٠)

بالأمسِ تقدمَ لِخِطبتِها يونسُ زميلُها بالعملِ والذي تُكنُّ له مشاعرَ طيبةً. شخصيتُه تجذبُها.. إنسانٌ مهذبٌ وناجحٌ بحياتِه، عطوفٌ، رقيقٌ؛ تتمناهُ الكثيراتُ حتى هي تمنَّتهُ. تُحيطُهُ هالةٌ من الكاريزما وضعتْ عيوبَه في مأزقٍ حيث لا تأثيرَ لها. لم تتخيلْ يوماً أن تنجذبَ لرجلٍ ممتلئِ الجسمِ وأيضاً يكبرها بالعمرِ..

شيئانِ يجعلانِها لا تلتفتُ له من البدايةِ. جاء ليحطمَ قاعدةً أساسيةً لديها ويجعلَها تتراجعُ لتعترفَ أنه الشاذُّ لقاعدتِها... تعلقتْ به منذُ سبعةِ أشهرٍ فورَ خروجِها من تجربةٍ مؤلمةٍ وقصةِ حبٍ دامتْ خمسَ سنواتٍ دون ارتباطٍ رسمي.

حاتم، الذي أذهلَها بقدرتِه الفائقةِ على إسعادِها.. تَقَبُّلُهُ لها رغم خروجِها من تجربةِ زواج فاشلٍ استمرَّ ثلاثَ سنواتٍ دونَ إنجابٍ. مبهرٌ في كلِّ شيءٍ، جعلَها تشعرُ أنها أميرةُ النساءِ. رجلٌ ناجحٌ.. طموحٌ يهتمُّ بمظهرِهِ ولياقتِه، وسيمٌ، ذكيٌّ.. نجحَ في امتلاكِ ولائِها بالكاملِ.

عشرُ سنواتٍ تحولُ بينها وبينه.. سبقتهُ فيهم وتقدَّمت بالعمرِ.. فارقٌ جعلَها تحلِّقُ معَه بأجواءَ شيقةٍ أعادتْ لها حيويتَها وتجدَّدَ نهمُها لاقتناصِ المُتعِ.. أربعون ربيعاً

مروا لم يؤثّروا كثيراً في جمالِها بل إنها بدتْ أصغرَ مما هي عليه.

ثلاثون عامًا أتمهم حاتم عندما جمعتهما الصدفةُ. اندفعتْ، اندمجتْ واقتنصتْ.. كانت تحسدُ نفسَها عليهِ وعلى حبّه لها.. رغم خوفِها من فكرةِ فارقِ العمرِ وكيفَ سيبدو عليهما مع مرورِ الزمنِ فيشكلُ وحشاً ينهشُ سعادتَهما.. ترددتْ كثيراً حتى جعلتْ تردُّدَهُ هو الآخر يقيناً، فافترقا... لتقابلَ يونسَ والذي سبقها بعشر سنوات.. عندما قابلتْهُ كانتْ قد بلغت الخمسَ والأربعين.. الحقُّ أنها لم تشعرْ معه بفارقِ العمرِ لمرونةِ ووعيِ شخصيتِه، مع هذا فهي للمرةِ الثانيةِ ترتاب من أن يختلفَ شعورُها مع مرورِ السنين. المعطياتُ غيرُ المنطقيةِ تُراودُها عن نفسها. منطقةُ الحيرةِ ما بين العطاءِ والأنانيةِ، التهورِ والتريثِ، الاندفاع أو التعقلِ، الجموح أو النمطيةِ، المجازفةِ أو الاستقرارِ، هي أو العائلةِ والمجتمع!

عشرُ سنواتٍ تحولُ بينها وبين الارتباطِ. قلبُها معلقٌ بعشرٍ فائتةٍ.. وها هو المستقبلُ يلوحُ لها: "تعالّي، أنتِ معي بأمان". انتبهتْ من شرودِها على صوتِ النداءِ: "عميل رقم أربعة وستون.." أنهت الإجراءاتِ البنكيةَ وانصرفتْ تجرُّ أذيالَ أفكارِها والتي تتشبثُ بها كأطفالٍ جائعةٍ تبحثُ عن استجابةٍ.

تدركُ جيداً أن إشباعَ اقتراحاتِ عقلِها بحلٍّ غيرِ مدروسٍ كوجبةِ تيك اواي سريعةِ التحضيرِ، باهظةِ التكاليفِ تشعرُ بعدَها بالندمِ على ما أنفقتْ من أجلِها.. لكنَّ أسرتَها تنتظرُها بالمنزلِ لتؤنبَها أمُّها، ويستعجلُها أبوها؛ فوجودُ ابنةٍ منفصلةٍ بالمنزلِ كلافتةٍ على الطريق. ينتبهُ لها المارةُ حتى من لا يعنيهم الأمر.. صحيحٌ ليس بنفسِ قوةِ الأهلِ والأقاربِ لكن "العين عليك" كما يخبرونها طوالَ الوقتِ.. أنثى جميلةٌ.. مهذبةُ الملامحِ تمتلكُ وجهاً طفولياً وجسماً متناسقاً منحَها مظهراً جاذباً.

تتلقفُها الحيرةُ بين عشرِ سنوات تفصلُها عن من تتمناهُ لكنَّه مترددٌ طوالَ الوقتِ محتمياً بمستقبلٍ ينتظرُه، بينَما يتسللُ من بين أيامها.. كل عامٍ يضافُ إلى حياتِه ينقصُ من فرصها بالزواج... وبين عشرٍ سبقتها تمنحُها الشعورَ العادلَ والجلوسَ في نصابِها المنطقي. تخشى أن تطيلَ على يونسَ فينساها.. يمتلكان ظروفاً متشابهةً مع فارقِ أنه أرملٌ وأبٌ لولدين .
رن هاتفُها برقمٍ غريبٍ فراحت ترد:
-ألو مين معي؟
-أنا حاتم يا سهير عاوز اتكلم معاكي شوية
-اتفضل
-لا أنا عاوز نقعد مع بعض ونتكلم ونتفق
-نتفق على ايه!

-عاوز اتقدم لك واعرف طلباتك قبل ما أقعد مع والدك، أنا خلاص فكرت.. مش قادر أبعد عنك.. احنا لازم نتجوز
-طب ومراتك!
-ايه المشكلة؟ ما انت كنت موافقة، هنتجوز في السر.
-آسفة يا حاتم مش هقدر.. فكرت كتير مش هقدر.. خلاص أنا اتقدم لي حد مناسب وهنتجوز قريب
-(بلهجة غاضبة) ازاي!! وتبعدي بالسهولة دي!
-ركز شوية.. انت اللي بعدت لأنك متردد
_سهير متهزريش احنا هنتجوز
-سلام يا حاتم
أغلقت الخطَّ وشعرتْ ببعضِ الراحةِ رغم ارتعاشةِ يدِها وندمٍ خبيثٍ يسري بين ضلوعِها يكادُ يفتكُ بها وكأنها تحسمُ الموقفَ وتضعُ نفسَها أمام الأمر الواقع. أمسكتْ بالهاتفِ لتجريَ مكالمةً:
-الو يونس ازيك
-ازيك يا سهير أخبارك ايه؟
-أنا تمام.. أنا فكرت زي ما قلت لك وموافقة
قالت كلماتِها الأخيرةَ كلفظِ الشهادتينِ قبل الموتِ... وكأنها عقدتْ صفقةَ شراءِ أرضٍ نائيةٍ سيرتفعُ ثمنُها كلما مرت عليها السنواتُ.
شعرتْ أنها نجتْ من براثِن الرغبةُ في امتلاكِ الكونِ وامتطاءِ صهوةِ التيارِ وهو يسيرُ ضد كل شيءٍ.

□□ لِـقـاءٌ

يُرسلُ لي رسائلَ اطمئنانٍ، ابتساماتٍ حانيةً.. وكفوفٌ مهذبةٌ تمتدُّ لتصافحَني نيابةً عنهُ.. أشعر به في كل مكان.. إنه يحيطني بهالةٍ من الحُب.. الحُب الذي لا يعرفُ أحد عنه شيئا. الحب مجسداً، يسيرُ على قدمين.. يلبسُ كياناتٍ يحثها أن تنحازَ لي لتثقلَ كفتي..

إنه يحبني لنفسي.. ومن أجلي يحيا، تُسعدُه ابتساماتي ويرضى عنهم إن أضحكوني. يكاد يزاحمُ عيونَهم ليبادلَني النظراتِ بدلاً منهم.. إنه فائقُ الروعةِ.. لا مثيل له.. وبه تُضرب الأمثال...

جعلني أتوقفُ مع نفسي لأراجعَ أفكاري، وأتفقدَ قناعاتي، أعيدُ ترتيبَ شعوري.. لأضعَ نقطةَ نظامٍ. جميعُ مَن مرُّوا بي ليسوا أصدقاءَ، ولا مُقربين.. إنهم مجرد أُناس.. اختلافه يضعُهم في مأزق.

يأخذني معه في نزهةٍ.. نجلس على حافةِ النهرِ ونغفو في هالةٍ من الواقع.. أتفحصُه لأتأكدَ من وجودِه... نعم ها هو كيانٌ ملموس... أُفيق، فأسأله بلؤمِ الأنثى، بكلماتٍ مغلفةٍ بالدعابةِ: "متي ستظهرُ على حقيقتِك؟" فيضحكُ ملءَ فِيهِ... حنونٌ بدرجةٍ عنيفةٍ.. جامحُ المشاعرِ.. أكاد أرى خيولَ مشاعرِه المتهورةَ وهو يُلجِمُها... لديهِ منطقٌ

باستطاعتِه إقناعي بأي منطق.. يخبرني دوماً أنه "هنا لأجلي"

بالفعل إنه أتى في وقتِه المناسبِ تمامًا.. هو لا يعلمُ ما سبق لكنه يعلم.. كيف؟! لا أعلم، وهذا ما يحيرني! على عكس كل من حاولوا التقربَ مني هو لا يتتبعُ شخصي، بل يتتبع المحيطين بي! ربما يهتم بنا بالتوازي ويقومُ بمد خيوط بحثِه مناصفةً بيني وبينهم، ربما!

يتفحصُ نظراتِهم، وكلماتِهم الموجهةَ لي فيثورُ بدلاً مني تارةً، ويطير فرحًا معي إن لاحت سعادةٌ ما بمُحياي تارة أخرى. في المساءِ عندما أركنُ إلى سريري، أدخلُ في حيرةٍ.. هل ما أشعرُ به تجاهَه حبٌ أم انتماءٌ؟ متي تعلقتُ به؟ وكيف حدثَ ذلك؟

في أولِ مقابلةٍ بيننا بطريقِ الصدفةِ البحتةِ لفتني من النظرة الأولى.. عندما رأيتُه في حفل تخرج أختي بالجامعة. وجدتُه وقوراً.. تحيطهُ الهيبةُ وتغلفه الكاريزما، فلا يدعُ لك مجالاً للتراجع.. ظللتُ يومَها أتأملُه، وأراقب حركاتِه وسكناتِه تلقائياً دون تعمد.. بل كنت كالمشدوهة. ووجدتُني أتخيلُ أننا سنرتبط يومًا ما.. وأنه سيُعجب بي ويحاول التعرف علىّ.. وكأني أرسلتُ له طاقة، أو هو الذي فعل لا أدري؛ لكنَّ ما داهمني داهمَهُ...

ينظر لي نظراتٍ سريعةً لكنها موجهةٌ. انتهى الحفل.. عدت للمنزل.. ملامحُه لا تفارقني.. فكرت أن أبحثَ عنه وأتواصلَ معه... لكني طردتُ الفكرةَ من رأسي.. خلدتُ يومها للنوم مستعيذةً بالله من شيطان جنوني وتهوري.

وفي الليلةِ التاليةِ.. كان هو.. وكانت رسالتُه.. وصرت قضيتَه... تحدثنا كثيراً.. كانت تتسابق الأسئلة بداخلي : "من أنت؟ وهل تعلم أنك أتيت بوقتٍ طلبتُكَ فيه من الله؟ لستَ أنتَ بالتحديد لكنني كنتُ بحاجةٍ إلى رحمةٍ تنتشلني من هوة معاناتي.. وترفعُني فوق موج الحياةِ.. فأنا لا أُجيد العومَ والجميعُ يتحججُ بالعجز ويتركني أعافر، نعم أنت رحمةٌ من الله لي... وسأحبك كثيراً، وأحمد الله على وجودِكَ، لكني لن أخبرَك بما حدثَ وسأدعُك تعتقدُ أنكَ فزتَ بي، وأني صدفةٌ خيرٌ من ألفِ ميعاد".

□□ ليستْ شاردةً

الشارعُ مزدحمٌ بالمارة، لكن النافورة التي في وسط الميدان تشهد لعبة كر وفر. ثعلب وغزالةٍ، يتبادلان نظرات غير مفهومة. امتدت اللعبة لأيام لكن في اماكن متفرقة. يتربصَ بها لأيامٍ، تمتد لشهورٍ قبل أن يقترب.

لم يستطع اصطيادَها، فلجأَ للحيلةِ، وعرضَ عليها الصداقةَ فوافقتْ على مضضٍ.. وأمضتِ الكثيرَ من الوقتِ برفقتِهِ .

تُراقبُ تحايُلَه، ويراقبُ تماسكَها على أملِ أن تنخدع وتدعَه يلتهمها بسلام.. لم يفكرْ في الانقضاضِ عليها.. يريدُ أن يستمتعَ وهو يفترسها.

تتابعتِ الأشهرُ.. والغزالةُ على حالها ، فاتهمها بالمثاليةِ وكتبَ على يومياته: "هنا غزالةٌ داعرةٌ تصطنعُ العفافَ"

□□ بعضٌ من الظنِّ

لا تُنذرُ نظراتُه بخيرٍ. أقبلَ يرددُ اسمي بصوتٍ عالٍ، أجشٍ وخطوطُ الغضبِ كأمواج تغزو جبهتَهُ .عيناهُ تتقدان بالوعيد. اغتال الرعبُ تماسكي. دقاتُ قلبي كطبولِ حربٍ لكنها لا تُفزع سواي. كنتُ أتناولُ عشائي فغدا كل ما يلفتني مرتبطاً بالأكل. تقطيعٌ، تمزيقٌ وأنا أنظرُ لكفِّه القابضِ على سكينٍ كبيرٍ!

ما عادَ لي مخرجٌ؛ سيُفتَضحُ أمري... تخيلتُه وهو يشق صدري(ليراه) مجسداً وهو ينعمُ برغبَتي فيه. أصبحتُ على شفا أن يعلمَ سراً أخفيتُه لسنوات ..

كان الجبنُ عاملاً مشتركًا بيني وبينه؛ سلبي متخاذل، مستسلمٌ لضعفٍ طال شخصيتَه فأردَاه جباناً يلجأ للتغافلِ كحيلةٍ هزيلةٍ هرباً من إيجاد حلولٍ تنقذه من ضعف موقفه. يسأمُ المسؤوليةَ، يتفقدُ مواطنَ الراحةِ، يفعل أيَّ شيءٍ مقابلَ أن نتركه (في حاله). نعم.. أنا وكاملُ الأسرة؛ أمه، أبوه، حتى أولادُه.. بدعوى أنه يريدُ العيشَ بسلام.

لا أعلم ماذا حلَّ به اليومَ. اتصلَ غاضباً فلم أعبأ به.. إنه يهدأُ سريعاً.. جل ما يفعلُ يتجنبني لأسبوع أو يزيدُ قليلاً حتى تمرَّ العاصفةُ قبل أن يأتيَ ليحصدَ النجاةَ من براثنِ

المناقشاتِ في محاولةٍ للوصولِ لحلٍ بمشكلةٍ ما، أو حتى المشاركةِ بمجردِ رأي .

اليومَ أطلَّ في حُلةٍ جديدةٍ غمرتهُ فاختلفتْ ملامحُه، ولغةُ جسدِه.. لم يتكلم.. فقط قذفنِي بنظراتٍ شرسةٍ، شراسةُ القط عندما يحاولُ الدفاعَ عن نفسه فيصدرُ مواءً عالياً في محاولةٍ لبثِّ الرعبِ فيمن يهاجمُه. ظننتُ أنه سيوبخُني أو يواجهُني بما علم.. أو كان يكتُم من علمٍ وفاض به.. لم يفعل أيَّ شيءٍ من ذلك، لكنه باغتَني برغبتِه في قتلي.

□□ خيرٌ من ألفِ ميعادِ

أخشى الرجالَ، أتجنبُهم منذ تجربتي السابقةِ في الارتباطِ بزوجي السابقِ والذي تركَ للرجلِ في مخيلتي صورةً مشوهةً. أن يجذبَني أحدُهم، أو ينالَ مني أثناءَ ممارستِه هوايةَ (الصيد) خاطرٌ غيرُ واردٍ في تدابيرِ عقلي ووعيي.

السقوطُ من أعلى برج إلى قاع بئرٍ، طامةٌ كبرى. أما الوقوعُ في مصيدةِ هذا الرجلِ غريبِ الأطوارِ، فمصيبةٌ أكبرُ.

في مولٍ للتسوقِ، اصطدمتُ به غيرَ منتبهةٍ لوجودِه، كانَ ظهري له؛ وعندما استدرتُ بحركةٍ سريعةٍ غيرِ محسوبةٍ، كانت نظراتُه ثابتةً غيرَ مضطربةٍ، فكِلت له من كلماتٍ غاضبةٍ ما لا يمكنُ لرجلٍ أن يتحملَه، لكنّه فعل هذا مبتسماً .

رغم أنفي حانتْ مني التفاتاتٌ نحوَه من آونةٍ لأخرى، وهو يُكمل تسوقَه غيرَ مبالٍ كأن شيئا لم يكن. جعلني ذلك أشعرُ أنني تجاوزتُ، ففكرتُ في الاعتذارِ. لستُ أدري هل كانت مبادرتي وسيلةً التواصلِ مع شخص مختلفٍ، أم أنه كان مجردَ اعتذار.

بعدَ أن خرجتُ من المولِ، انتظرتُه وقلتُ له: "أعذرني، المفاجأةُ جعلتني أتوترُ لأخرج عن شعوري". لم يتكلم،

فقط ابتسم ومدَّ يدَه ببطاقةٍ. توقعتُ أن يكونَ بها اسمُه، ووظيفتُه، وأكثرُ من هاتف. ترددتُ في مد يدي، لكن شيئاً ما دفعني بسرعةٍ لآخذَه. قلتُ لنفسي: خذيه، ثم ألقي به في أول صندوقِ مخلفات. دسستُه في حقيبتي بحركةٍ متوترةٍ كمخدرٍ محظورٍ، ومشيت بعيداً كأنني أهرب من عدو في معركة.

في الليل جاءني حالماً مبتسماً. فتحت عيني، كان يمد يده ويهمس: تعالي، وأنا أرفض بعنف. لم يتوقفْ عن المجيء ليلاً ونهاراً، وأنا أصر على الرفض. في الليلة السابعة من حادثِ المول، لم أتمكن من مقاومةِ إغراء الاتصال. تحدثنا، ولم نتوقف إلا عند تباشير الصباح الأولى.

كلما اقتربَ شحنُ الهاتفِ من الانتهاءِ، وقفتُ بجوار مصدرِ الكهرباءِ لفترة، حتى يستعيدَ الهاتفُ قدرتَه على استقبالِ حديثه الشيق. اتفقنا بعد خمسِ ليالٍ على اللقاء. ذهبتُ إلى مكتبِه، تجارةُ واستيرادُ أجهزةِ حواسبَ مستعملةٍ.

توقعتُ أشياءَ كثيرةً سوف يقومُ بها عندما يراني. سوف يترك يدي تنام في حضن يده طويلاً. ربما يقبّل يدي، وربما يضمني بوحشةٍ فأشعرُ بدفءِ صدرِهِ وأسمعُ دقاتِ قلبه. وقد تفضحني دقاتُ قلبي المتسارعةُ. ماذا لو اقتربت شفاهه من شفتي، ترى هل سأتركهما له يعبث

بهما؟ تساؤلاتٌ وخيالاتٌ ورغباتٌ وأمنياتٌ لم تتحقق كلها. فقط مد يدَه، وسلَّم مبتسماً ببرود. أحسست بخيبة أملٍ غيرِ اعتياديةٍ.

قررت الانتهاءَ من هذا اللقاءِ بسرعة. لن أبقى أكثرَ من هذا مع رجلٍ نسي كل شطحاتنا عبر الهاتف. لقد قتلَ أنوثتي. لا أودُّ البقاءَ، ولا أريدُ الخروجَ مهزومةً، كنت أتجولُ في المكانِ بكبرياءٍ مزيفٍ وكلي يبحث عن لهفتِه، يبدو أنه لاحظ توتري فبدأ يعبر لي عن إعجابِه بتسريحةِ شعري ومظهري الأنيق، وبدأ يحتفل بأنوثتي مما جعلني أتريث وأتراجع عن فكرة المغادرة.

أمسك بيدي وأنا أتجول.. أنتقل من منطقةٍ إلى منطقة، ومن المكتبِ إلى المخزنِ، ومن غرفة الحساباتِ إلى مكتب السكرتيرة. جلستُ على المكتبِ.

استدرتُ بالكرسي. أوقفَه فجأةً. كنتُ في مواجهتِه. وضع ذراعيه على ذراعي الكرسي. اقترب مني. هممت بالوقوف. كانت أنفاسه ساخنة، ووجهه لوحة اشتياق. وقفتُ.. ضمني إلى صدره.. استسلمتُ له طائعةً، فذابتْ شفاهُنا وغِبنا عن اللحظة.

في اللقاءاتِ التي لم تتوقفْ، بدأتُ استكشافَ أرضٍ جديدةٍ في شخصيته. كان يُغريه شَعري حينما أجعِّدُه مثل الإفريقيات. يعرفُ جيداً كيف يتحدثُ لسانُه بلغةٍ ماجنةٍ تُلهِبُ رُوحي وتستفزُّ هدوئي. يتلذذُ بلعقِ ما تحتَ

سرتي، يتوددُ بلؤم خبيرٍ لكل ما هو بالأسفل، فيحركه. يتسللُ تدريجياً ليشعلَ كوامني الهائمةَ.

متوحشٌ متمردٌ، لا يفكُّ حمالةَ صدري، بل ينتزعُها نزعاً عنيفاً. يبتسمُ ابتسامةً شريرةً لذيذةً إذا تقطَّعتْ وسقطتْ، فيقضِمُ حلماتي بأسنانِه، حتى تكادُ تُدمى. كلما حاولتُ إيقافَه، قيَّدَ يدي بذراعيهِ القويتينِ، ونهَل من جسدي كغجريٍّ شَرِه. كنت أستنكرُه في البدايةِ، ثم بدأتُ أُجاريه حتى يأتيني كثورٍ هائج لا تُوقفه تأوهاتٌ ولا صرخاتُ ألم.

عندما ارتديتُ قميصاً بألوانِ جلدِ النمرِ، جُنَّ جنونه. هاجمَني بعنفٍ، حملني بقوةٍ. دارَ بي في أرجاءِ الغرفةِ، ثم أوقفَني في أحدِ الأركانِ وقطع القميصَ، فتفجرتْ نهودي، وتمايلتْ أردافي كراقصةٍ في معبدِ الاشتهاء.

قيد يديَّ بحزام البنطلون. رفعني فوق المكتب. مسح لسانه كل مكان وصل إليه. ألهبني، فصرتُ جذوةً من الشهوةِ المشتعلة. صرختُ، تأوهتُ، تألمتُ، لكنني

استمتعتُ ... لا أعلم كيف ومتى تغيرتْ قناعاتي وصرتُ مسلوبةَ الإرادةِ بتلك الطريقةِ.. كأنه ساحرٌ. منقادةٌ إليه أتوق إلى الذوبان بين يديه. يضللني كمراهق، ويغتصبني كسكير عربيد، بعد كل لقاءٍ يجمعنا بالكاد أتذكر ما حدث، وكأني دخلتُ بوابة زمن جهنميةً. أحببتُه، وعشقتُ تطرفَه وكأني هكذا منذ البداية.

□□ دونَ قلبٍ

لا أعلم لماذا تذكرت هذا الصباح يوم كنتُ في طريقي إلى المنزلِ عندما اعترضَني خمسةُ رجال.. قيدوني ووضعوني في سيارة فارهة. لم أستطع حتى التحققَ من ملامحِهم، فقد غطوا عيوني بغطاءٍ أسودَ... لكني سمعت أحدَهم يتبادل الحديثَ بالهاتف، وترامى إلى سمعي كلمة (معمل، ودكتور) كنت مترقبةً طوال الوقت، ومتحفزةً لأُبعِد أياديهم عن جسمي، لكنهم لم يقوموا بأي شيءٍ من ذلك.. ما هذا الخطف الحديث! أنا فقط خائفة.. أسترقُ السمعَ.. أنفاسُهم عاليةٌ نوعاً ما مما يدل على أن أجسامَهم كبيرة.. وكانَ ذراعُ أحدِهم وهو يحملني ضخمًا.

لا أعلم لماذا تم اختطافي! فأنا امرأةٌ محدودةُ الجمالِ في العقدِ الثالثِ من العمر.. غيرُ مرغوبةٍ، ولا أخوضُ أيَّ قصصِ حب لنفس السبب.. أتجنبُ الإحراجَ فلستُ ضمنَ اختياراتِ الرجالِ من الأساس. يمرون بجانبي هكذا، يتخطاني بصرهم تلقائيا. أنا ذلك الحدثُ الذى لا يهتم أحد بروايته. لست استثناءَ أحدٍ ولا يميزني شيء. ليس معقولاً أن يكونوا قد توصلوا لسمو روحي وجمالِ أخلاقي كما تصفني عائلتي.

توقفت السيارة ورفعوا الغمامة من على وجهي، فتح أحدهم الباب لي قائلا: "متخافيش، انزلي بأمان"
وددتُ لو أصرخُ بوجهِه موبخةً: "عن أي أمان تتحدث"

مكانٌ هادئٌ.. خالٍ من البشر.. به الكثيرُ من القططِ وثلاثةُ كلابٍ بوليسيةٍ منظرهم مخيف.. تقدمتُ مضطرةً. دخلنا منزلاً كبيراً أقربَ للدوّار... يشبهُ بيوتَ الفلاحين الرحبة . قدموا لي عصيراً وفكوا وثاقي بعد أن أحكموا غلق الأبواب ..

-عصير! أنا هنا بعمل ايه!؟

قلتها بنبرة مرتعشة... لم يأتني رد، فقط قال لي أضخمهم بصوت خشن لكنه هادئ بلهجة آمرة: "اشربي العصير."

تناولتُ الكوبَ لأشربَه دفعةً واحدةً على أملِ أن تكونَ الخطوةُ القادمةُ هي إخباري عن سبب وجودي معهم. عشرة عيون تحدق بي.. أصبحوا غيرَ واضِحين لي تدريجيا.. شعرت بدوار وغثيان و ....

" -يمكن عندها غيبوبة سكر، يا حبيبتي يا بنتي زمان أهلها قلقانين عليها"

أصواتٌ فوقَ رأسي ورائحةُ عطرٍ قويةٌ على أنفي.. فتحتُ عيني لأجدني جالسةً على مقعدٍ بحديقةٍ عامةٍ هدهدتني إحداهنَّ مطمئنةً :

-متخافيش يا بنتي انتِ بخير.

-مخافش؟! أخاف من إيه..؟ وإيه الخوف دا؟ أنا عارفة الكلمة دي كويس...

حاولتُ الوقوفَ وأنا أبعدُ أياديَهم عني بحنق.. أهم بالمغادرة... جاءني صوتُ نفس السيدةِ في غضب :
-مالها دي؟ دي باينها مخبولة.. طيب حتى اشكرينا!

شملتُهم بنظرةٍ سريعةٍ أثناء مغادرتي لا أعلمُ على ماذا أشكرُهم، لم أشعر تجاههم بأية مشاعر.. مجرد وجوه غريبة عني... ابتعدتُ إلى أن وصلتُ لأقربِ محطةٍ للنقلِ العامِ لأستقل أولَ حافلةٍ قريبةٍ من بيتي. صعدتُ بصعوبةٍ .. أشعرُ بإعياءٍ شديدٍ وألمٍ بجانبِ صدري الأيسر.. ارتميتُ على أقربِ مقعد .. كدت أستسلمَ للنومِ غيرَ أن ضجيجَ الحكاياتِ المتناثرةِ هنا وهناك يحفز انتباهي فأفيق.. أصوات تبث أسراراً وأمنياتٍ :
-ألو يا ماما، بابا عامل ايه دلوقتي؟ حالته استقرت؟
-عارفة بقا انا هعمل ايه اول لما اروح؟ أنا هتخانق معاه خناقه لرب السما
-انهاردا جالي قدام الجامعة واعترف لي بحبه

لا أعلم ما بي.. أشعر أني بالكامل أصبحت عبارةً عن (أذُن) فقط أسمع لا أشعر بشيء.. ينفعلون أثناء هدرهم للحكايات، يتعاطفون مع بعضهم البعض وكأنهم ينتمون لأسرة واحدة. أما أنا فلا أفهم تعابيرَ وجوهِهم لكني أتذكر جيداً أني رأيت ذلك من قبل.

توقف (الباص) ووقفت لأنزل. لكني سقطت مغشياً علي ولم أفق إلا على صوت يقول :
-البنت دي ازاي تخرج من المستشفى وهي بالشكل دا؟ دي معمول لها عملية زرع قلب (قلب صناعي).

□□ خُطواتٌ

تركَه صديقُه إثرَ رنين هاتفِه، مترجلاً بعيداً ليستقبل مكالمته، وبدون داع شعر بالتوترِ وبعضِ التعرق.. كما هاجمتْه بعضُ الظنونِ بأن صديقَه قد مَل أحاديثَه عن الأقدامِ التي يراها كثيراً في أحلامِه!

الغريبُ في الأمرِ أن الحلمَ يتكررُ معه كثيراً وبأشكالٍ مختلفةٍ.. مرةً يسمعُ وقعَ أقدامٍ دونَ رؤيةِ صاحبِها.. أو طقطقةَ كعبٍ نسائيٍ مع صوتٍ رقيقٍ يهمسُ..

في أحدِ المراتِ رأى نفسَه يسيرُ على شاطئٍ خالٍ، وعلى الرمالِ آثارٌ لأقدامٍ كثيرةٍ ودون أن يفكر يتتبعها ويقوم بالتقاطِ الصورِ لها. عاد صديقُه من جديد ليقطعَ عليه حبلَ أفكاره ليستكملا حديثَهما، يطمئنُه بأنها مجردُ أضغاثِ أحلامٍ. تفرقا بعد إبرام موعد قادم غداً..

نهضَ متكاسلاً، وفي طريقِ عودتِه للمنزلِ كان يسير مطأطئ الرأسِ سارحاً بأفكاره، لا يقطعُها سوى حذاء نسائيٍ يمر بجانِبه أو أمامَه... لاحظ أنه أثناءَ النوم تزوره في أحلامِه جميعُ الأحذيةِ والأقدامِ والخطواتِ سواء لنساء أو رجال أو حتى أطفال... أما في اليقظةِ لا ينتبهُ سوى للنساء، حتى أنها أصبحت متلازمةً وكأنه يجمع شيئا من هوس لديه.

لا تَلفته الأنثى بحد ذاتها لكن يلتفت لخفتها، ويتمنى لو ترافقُه نزهةً خلويةً يمشيان فيها لمسافاتٍ بعيدة.. ليس مهماً نوعيةُ الحديث، لكنّ المهمّ أن يسيرا جنباً إلى جنب..

لم يشعرْ بالطريقِ فقد آنستْهُ أفكارُه رغم ثقلها على نفسه.. وصل لبيته.. دلف بالداخل. استقبلته ابنته ذات السبع سنوات بحفاوة تحتضنه وتقبله... سألها فور دخوله: فين ماما؟ أطلت زوجتُه بوجهٍ باسمٍ كعادتِها تحملُ عنه حقيبةً يحملها بيده.. تسير ببطء.. يقبلها من جبينها كما اعتاد ويتابعها بنظره وهي تذهب لغرفةٍ مقابلةٍ يتأمل مشيتها..

يشعر بالوهنِ وبعضِ العجزِ لأنه لا يستطيع مساعدتَها أو تقديمَ حلٍّ نهائي لألمها.. كلُّ ما يستطيعُ فعلَه أن يكونَ لها معيناً يخطو بدلاً منها ويكملَ نقصَها.. يساندُها طوالَ الوقتِ.. متحملاً مسؤوليته نحوها.. فإصابتُها ب(شلل الأطفال) لم تسلبْها جمالَها الأخاذَ والذي جعَلها تنالُ ولاءهُ وحبَّه لها من النظرةِ الأولى.

□□ هل تُعطيني بعضًا من وقتِك؟

امرأةً تحيا دون ونيس غير خيالاتها. تبحث في عيون الناس عن ملجأ، مع ذلك فالعيون تتحاشاها، ليس لأنها دميمة وإنما لأنها تجيدُ الصمتَ. قابلتها فداهمني صمتها وأدخلتني حيرتَها طائعةً.

سألتُها. ابتسَمَت ، لكنها لم تُجبْ. ذهبت، فتابعتها. تتسول الدقائقَ والساعاتِ، تأوي للمارةِ لتحتميَ بهم من فراغ سحيق يغمر جنباتِ حياتِها؛ وعلى استعدادٍ لرد الدينِ! فقط تنصتُ إليك.. أو حتى تجلسُ برفقتك صامتةً، تشاركَكَ اهتمامَك.

في نهايةِ كل يوم تقطعُ طريقَ الوحدةِ عائدةً لغُربتها. يتتبعونها بنظراتهم حتى تختفيَ دون أن يشاركَها أحدُهم مشقةَ الطريق إلى غرفةٍ فوق سطح بيتٍ قديم في حارةٍ من حواري شبرا.

# □□ على الطريق

يجلسون في حلقات شبه مكتملة، يُصبّرون بعضَهم بعضاً.. يضعون الابتلاءات في موازينَ ليتعرفوا على الأكثر وقعاً! حتى أن أحدَهم تحدثَ عن رجلٍ كان يصارعُ سكراتِ الموتِ منذ قليل قائلاً: لا بأس لقد (استراح) مما كان يعانيه! وكأن المعاناةَ مع مرضٍ والموتَ على إثره يمكن التفضيل بينهما!! اقتربت منهم لكنني لم اتمكن من دخول الحلقة لأنها كانت مفرغة من الداخل، لكن اطارها كان زاهياً.

□□ لم يصدّقني أحدٌ

تركتُ بيتي مِراراً في رحلة شبه يوميةٍ إلى منزل أبي هاربةً من عدم شعوري بالأمان... خوفٌ يُحيط بي، ورعبٌ يجتاحني مُعظم الوقت. لم أكن أدرك سبباً مباشراً لهذا الإحساس بالخوف غير المبرر.

هل هم هنا معي فوق الأرض، أم تحتها ؟ لا يمكنني الجزم بتحديد المكان أو توقيت الحضور، لكنني متأكدة من وجودهم حينما يريدون وفي المكان الذي يريدون.

لم يكتفوا بملاحقتي بنظراتِهم الغريبةِ، وتتبع خطواتي بل اقتحموا أحلامي.. وشاركوني أحاديثي، غريبو الأطوار ترى هل هم أم أنا غريبة الأطوار؟

حاولتْ أُمي إقناعي بفكرةِ أنهم مثلنا عائلات، وأن لكل عائلةٍ طابعَها الخاصَّ وطباعَها المرتبطةَ بمشوارهم بالحياة، لكنني ظللت على حالي، أراهم أناس مرات وأشباح أحياناً أخرى. هكذا ظلت رؤيتي لحياتهم وارتباطي بهم من ثقب آخر مختلف.

لم يصدقني أحد حين قلت انهم بارعون في الاختباءِ خلف ابتساماتٍ فاترة، منافقون ببراعة، يتخذون من بلاهتِهم عذراً لعدم تقصدهم الأذى أو الازعاج، لهذا قررت مؤخراً عقد صلح معهم.

□□ عصفوران وحجرٌ واحدٌ

بدأتُ رحلتي مع البنك بعقلي، حلمتُ كثيراً بفتح حساب. ظللت متمسكةً بالفكرة أكثر من تمسكها بي، أضع الخطط وأتخيل المستقبل وقد جمعت المال، وبفكر اقتصادي اخترتُ أن أحتفظَ بهم في وديعة توفر لي عائداً لا بأس به يَصلح كمعاش في هرمي.. وبذلك أكون ضربتُ عصفورين بحجر واحد.. أحدهما أني عوضتُ نفسي عن عدم التحاقي بوظيفة حكومية، أما العصفور الثاني فهو احتفاظي بأصل المبلغ (الوديعة) فأضحك ضحكةً شريرة مكتومة.. تليها ابتسامةُ سخرية من ذلك الحلم البعيد..

ولأني أمتلكُ صبرَ نحلة، وحكمةَ ثعلب، وثقةَ أسد، فقد عزمتُ على البدء وتنفيذ المخطط، وقد جمعتُ أول ثلاثة آلاف جنيهٍ لأفتح حساباً بنكياً باسمي. بعدما انتهيت من كافة الإجراءات وملءِ الاستمارة والتأكد من تفعيل خاصية حفظ المراسلاتِ لضمان السرية التامة، وصلت للشباك الأخير للانتهاء فيبتسم الموظف ابتسامة لم أفهم ما فيها من السخرية والشماتة وهو يبادرني :

-خلي بالك لازم كل شهر تودعي أي مبلغ لأن في رسوم ودمغات شهرية وكدا المبلغ هيفضل يقل يقل..

سارعت باندفاع مشوب ببراءة المودع لأول مرة

-لا طبعا أنا هاجي كل شهر وأودع مبلغ ولو بسيط...

ومضيت في ذلك اليوم فرحةً أقطع الطريقَ بخفةِ فراشة؛ ولبساطةِ دخلي كبائعةِ ملابس (أونلاين) كنتُ آنذاك بعد الانتهاء من مصاريف ضرورياتِ الحياةِ أستطيع أن أوفر خمسمائة جنيهٍ لأجري كل أول شهر وأضعهم في الحساب وكأني مدينة للبنك.. لطالما طاردتني كلمات الموظف: الفلوس هتفضل " تقل.. تقل .. تقل"

كنت آخذ رقم (تلر) وأجلس في ساحة الانتظار قبل أن يحين دوري لأقف أمام الشباك، أتابع موظفَ الصرف وبجواره الكثير من (الرُّزَم) وأيضا مشغول بإنهاء عد رزم أخرى على ماكينة العد الآلي للعميل الذي سبقني.. فأنظر للخمسمائة جنيه وأشعر بالخزي.. يتناولها الموظف وينظر لي نظراتٍ ليست بحاجةٍ لأن يتفوهَ بأي كلمة... نظراتٌ يمكنك سماعُها لكنه أكثرُ تهذيباً من زميله بشباك رقم ١٢.

أكرر ذلك شهريا.. ثم أتأخر مرة لشهرين لأودع ألفاً.. يالني من متطورة ومدبرة.. كنت أخرج من الباب الرئيسي للبنك فخورة بنفسي (استرونج اندبندت وومن) عصامية اقتصادية مبهرة. ومع أول عشرة آلاف جنيه قررت عمل أول شهادة كلبنة أولى في وديعة معاشي.. وعشرة تلو الأخرى، صرت أمتلك (فيزا كارد)عليكم جميعا الآن أن تفخروا بي.

مرت عشر سنوات على هذا النحو جنيت الكثير من الأرباح فجمعت مبلغاً لا بأس به من العائد لم أسحب منه أبدا، فأنا أتركه للزمن. ولكني لم أهرم بعد، ولا زلت أعمل، وتطورت في عملي أيضا وازداد دخلي، فرأيت أن أشتري لنفسي قطعة من الذهب.

استيقظت اليوم على صوت أمي تناديني: قومي يا مريم هتتأخري على البنك.
عندما هممتُ لأتركَ سريري وأذهبَ لأغتسلَ وألبسَ ملابسي كنتُ ذاهبةً للبنكِ بالفعل ولكن لأقدم طلباً للحصول على قرضٍ بضمان الشقة التي أقطن بها، فقد كان حلماً.

□□ مجردُ مُزحةٍ

استفزها هدوءُه بدرجةٍ كبيرةٍ.. متزنٌ، متماسك.. نفدتْ جميعُ حيلها للفت انتباهه.. هي الخجولةُ المنطوية لكنه فاقها تحفظا، يناديها بنظراته ويداه مضمومتان. تتصنع وقوعَ الكوب ليتحطمَ وتنحني لإصلاح الأمر...

خجولٌ بعيون نمر، يدخلها في حيرة... لا يزعجها أن تكون فريسته.. ودت لو عثرت على خريطته لتقع في فخه..
راح يساعدُها في إصلاح أمر الكوبِ فاقتربا ولم يعد بينهما حواجز سوى بعضٍ من خجلهما... كم هو مُغرٍ القربُ من رجلٍ متزن.. شريطةَ ألا يسرفَ في الأمر.

"هيا اقترب أيها الجبان" راحت تصوب نحوه كلماتها بنظراتٍ ملتهبةٍ وبمنتهى الصمت.
شعر بانتفاضتِها عند اقترابِه منها فراح يلمسُ جسدَها البض.. كانت تهتف دون صوت مسموع: "نعم هيا، هيت لك..."
صوتُ موافقتِها كان مدوياً غمر أنحاءَ جسده.. يضربه بسياط لوعتها.. فتسللت أصابعُه تعبثُ بأزرارِ بلوزتِها يدغدغُ فيها ما تبقَّى من تمنُّعِها تدللا.. أدخلتْها استجابتُه البارعةُ في لوثةٍ حسية متضاربةٍ ومتصاعدة فَهَمّت بحركةٍ لا إرادية، بإسقاطِ بنطالِه كاملا، فقد أيقظ فيها شيطاناً خفياً مكبلاً بشفرة وافقت ما في جعبتِه.

" يالكِ من ملعونةٍ تختبئ خلف خوفي.. " هكذا بادلها الحديثَ الصامتَ.

اختلط بداخلهما صوتُ الفكاهةِ مع المتعةِ فقررا أن يُكملا اللعبةَ ويمتطيا الصدفةَ ليدلفا معا مدنَ المتعة.. ليخبرا بعضهما البعض لاحقا أنها كانتْ مجردَ مزحةٍ.

□□ ذاتَ الكعبِ العالي

الليلُ في مدينتي غيرُ كافٍ بالمرةِ لنمارسَ هوايةَ الكسل. والتخطيطُ غير مأمون النتائج.. "قد نذهب لنزهة، قد..." مساحاتُ الفراغ من حولنا غيرُ منطقيةٍ، تمرُّ سريعاً، وكأنها تعقدُ الصفقاتِ مع أعمالٍ لا تليق بنا، وتختار لنا ما يناسبنا.

استيقظتُ اليوم في تمام السابعةِ لألهث خلفَ الدقائق عَلّي أصل في الميعاد لمقر عملي.. ماهرةٌ في الانتهاء من استعدادات الصباح؛ تحركتُ باتجاه(الحمام) لم يستيقظ أحد، وحدي محرومةٌ من رفاهية الاختيار.. مع ذلك أستمتع بعاداتي اليومية حتى لو تأخرت بعض الوقت. أغسل أسناني وأنا أنظر للمرآة، أتأمل تفاصيل وجهي.. معجبة بنفسي .. ثم أستسلم لدش دافئ .. أستسلم للمياه، تتساقط على رأسي لتنعش روحي.

أخرج مرتدية (البرنس) لأدخل المطبخ أعد إفطاراً "كأنه إفطار" كما تقول أمي ممازحة. قطعتا بسكويت وفنجان من القهوة الفرنسية. سريعا أجري لغرفتي أرتدي ملابسي وأوزع وقتي ما بين متابعة القهوة وإكمال أناقتي.. اعتدت أن أفعل كل ذلك في وقت قياسي.. ربما لتكرار اليوم.
ارتديتُ بنطالَ جينز وبلوزةً زرقاءَ قطنيةً.. أكملتُ آخرِ رشفةٍ من الفنجانِ وأنا أضبطُ ياقتها.. ونزلت مهرولةً

بعدما تناولت حقيبة يدي البيضاءَ والتي تتناسب مع حذائي الجديد.. أخذت نفسا عميقا لأواجه العالم بالخارج .

في الطرقات وبوسائل المواصلات أركن للهدوء، أمارس الصمت.. فقط أتابع وأترك وابل الاعتراضات بداخلي محتدماً . صاخبة مدينتي وبرغم ذلك معظم الأشياء بها ثابتة على موقفها؛ العربات تسير بلا انتظام، المارة لا يحترمون الطريق، وجوه كشرة تعتليها عباراتٌ غاضبة دون أن تنبس ببنت شفة، ترميك بالنظرات شزرا وكأنك شريك في إقحامها بالحافلات المزدحمة، فيشركونك معهم في سخافاتهم وأحاديثهم المزعجة بالهاتف دون اختيار منك، فلا مقام لما يقال.. كلمات باستطاعتك أن تشم رائحتها فالبعض لا يهتم بغسل أسنانه في الصباح.

في مدينتي حقائق من الخيال! كقلوب الرجال، عليكِ كأنثى تجنب الاصطدام بأحد منهم، حماية لهم، فأفئدتهم غير مثبتة جيدا على ما يبدو.. تتساقط منهم إثر إلقائك تحية الصباح مثلاً، أو حتي مجرد رد التحية!

حيرة تتملكنا نحن بنات حواء ما بين الفعل ورد الفعل، التجاهل والاستجابة، كلما حانت الفرصةُ للتعامل مع أحدهم قفزت إلى ذهني كلمةُ (عورة) فيما بيني وبينه.. كُلي عورة يجب عليّ التستر قولاً وفعلاً، وكيان مادي

ملموس، "وقلبه" عورة يتحتم علي عدمُ المساس بها من قريب أو بعيد.. فلا أنظر له ولا أتحدث إليه ..

المشكلة أني حتى لو لجأت للغة الإشارة قد يفتن بكف يدي! ما هذه الحيرة؟ أخشى على قلبه من السقوط أمامي، وبدون قصد مني أخطو فوقه.
علمتني أمي طريقةً للهروب من مجالات الرجال العنكبوتية والخروج منها بطريقة آمنة، وهي أن أكَون (ذات الكعب العالي)؛ فلا يصل إلي سوى مَن يستحق، صادق المقصد.

الرجال يمتلكون أجساداً خشنة وقلوباً هشة... اليوم قابلت رجلا بالحافلةِ في العقد الرابع من عمره.. يحمل حقيبةَ عمل وبعضَ الأكياس، ويبدو عليه الإجهادُ بدرجةٍ كبيرة.. فأفرغت له مكانًا بجواري بمنتهى التلقائية.. نظر لي نظرةَ شكر باسمةً، فبادلته الامتنانَ بحركةٍ من وجهي "أن لا عليك"، وبعد أن التقط أنفاسه وهدأ تحدث إلي قليلاً بود، وطلب مني أن يمتدَّ التواصلُ فيما بيننا بإعطائه رقم هاتفي لأنه استراح لي كثيراً ولديه نية للارتباط!

تملكتني الدهشةُ.. كيف لعريض المنكبين، خشن الصوت، قوي البنية.. من نأتي به كحائط صد نحتمي خلف جدار عقله من رقة عاطفيتنا.. كيف له أن يتحول

لذلك المسلوب الإرادة، وفي الحقيقة لم أسلبه شيئاً إنما جاء بما لديه متبرعا... كدت أرى قلبه وهو يسقط أمامي، وللأسف لم يكن لدى خيار سوى أن "أدوس عليه" فقد جاءت محطتي وكان خروجي من الحافلة أمراً محتمًا.

# □□ وقوع الأمر

يقذفونَها بنظرات الاتهام كلما ارتفعت الأسعار.. أو ساءت أحوالُهم المادية.. كانت بالنسبة لهم أزمةً اقتصاديةً تسير على قدمين، عقبةً تعترض طريقهم نحو الرغد من العيش.. تدهشُهم طريقةُ تعاملها مع الحياة.. ولِمَ الآن تحديدا! تتطرق لمواطن لم يطأْها تفكيرُها طوال خمسة عشر عاما منقضية، أو هكذا بدت لعائلتها... سافر فيهم الزوج للعمل بدولة الكويت ذهابا وإيابا بإجازات سنوية أو يزيد في بعض الأحيان.. عاشوا فيها جميعاً في هدوءٍ واستقرار مادي ومعنوي... ما جعلها تهم بافتعال ثورةٍ دون الالتفاتِ للعواقب، حتي ولو كانت النتيجة هدمَ البيت ...

كانت راضيةً قانعة لم يظهر عليها علاماتُ تمرد بهذا الشكل الصريح.. كانا يتشاجران بين الحين والاخر.. ويطال شجارُهما سمعَ الأبناء لكنها بعد قليل تهدأ وتستمر الحياة باستقرار.

الآن أصبح شعارُها (علي وعلى أعدائي).. هي تنكر تلك التهمةَ لكنها فعليا ستحطم الجميع وتتركهم في العراء بلا غطاء مادي مناسب... يدخلهم زهدها في كهف الحيرة.. لماذا لا تعبأ بالفروق بين اعتمادهم على دخل محدود.. والعيش مع أب لا يعرفونه..؟
غربة موحشة تغمرهم.. لا تستقيم علاقتهم به إلا عندما يتواصلون عن بُعد.. هي أيضا تعاني من فجوة كبيرة

تحول بينهما ومع ذلك لا تتراجع عن قرارها "إما معي أو لنفترق للأبد".

تحاول تفسير الأمر... لديها مبررات.. سأمت.. ملت.. أنهكت.. تريد التوقف عن البذل.. تود لو تبادلوا المقاعد ليبدأوا معها رحلة رد الجميل. يعلو صوت ابنتها الكبرى ذات التسعة عشر عاما: "ما المانع أن يتألم واحد ويرتاح ثلاثة"؟

طعنتها الكلماتُ السبع في مقتلٍ فأردتْها محطمة. عازمون على تخطي الأمر وتجاهلِ استغاثتِها، والسير فوق جثتِها في طريقهم لعبور جسر أمنياتهم... كأنها فرد على سفينة في عرض البحر تشرف على الغرق ولابد أن يُلقَى أحدهم في الماء لينجوَ الجميع فتم اختيارُها هي...

يحاولون بكل ما فيهم إقناعها بفرضيةِ النجاةِ الكبيرة.."حتي لو كنتُ يونسَ لم يعد بالإمكان وجودُ حوت يتلقفني فقد ولي زمن المعجزات" هكذا حدثتهم في الأيام التالية.. كانت تغزل من ألمِها شالاً تحتمي به في ليالي الظلم القاحلة..
بدتْ صامدةً وهي ترتديه.. يكاد لا يري على كتفِها لكنه ظاهرٌ وبوضوح من خلال استقامة عودِها ووقفتها الواثقة... وقد تبدلت ملامحُها من الاستكانة والاستسلام للأمر الواقع، لامرأةٍ لن يهزمها وقوع الأمر.

□□ رغبة

اليوم احتجزتني فكرةٌ علقتُ بداخلها، حيرة تتلقفني، عقلي يكادُ ينفجرُ وتتطاير منه القرارات التي تناوشني. لجأت إلى السرير أحاول النوم.. فلم يتقبلني، وقذف بي بساحة الهواجس..

كان مجردَ تلميح على هيئة اقتراح ألقى به طارق زميلي بالمكتب الهندسي بوجهي كمحاولةٍ أخيرة لاستمالتي وأنا أدعوه لعشاء عمل:
- أنا مش عاوز آكل أكل

كلماتٌ مشتعلة كنيرانٍ صديقة.. تتطايرُ شظايا نواياه الماكرةُ من خلالها تلحق بتماسكي أثراً لا يمكن إنكارُه. قالها بثباتٍ مضطرب، وهدوءٍ مخيف زلزل قضبان تحفظي، وأزاح الستارَ عن محاولاتٍ للتفلت من رغبتي بقول "نعم"

يعلم جيداً أن كل زفرة صمت بدت رافضةً كانت قبولاً مؤكدا.. عيناه واثقتان، تتحديان رزانتي.. عندما عدتُ للمنزل وجدتُ رسالة منه بالهاتف: "اسمحي لي أعزمك أنا على ذوقي، على طريقتي.. انتظرك بكرا بعد الشغل "

طـاردتني الفكـرةُ قرابـةَ السـاعتين.. فكـرتُ بـالخروج والسير بـالهواء علّـي أعود بقلب غير الذي خرجت بـه ولكن تملكني الإحباطُ والكسل، فاستسلمت للبقـاء وتداول الحلول.. يقطـع سيلَ أفكـاري اتصـالٌ هـاتفي مـن إحـدى العميلات بالشركة:

-احنا بينا موعد فات من نص ساعة

-ها معقول!

-آها انتِ نسيتي ولا ايه؟

-فعـلا نسيت، بعتـذر هلـبس بسـرعة وآجـي لحضـرتك حالاً.

"يا إلهي! كيف أنسى هكذا؟" وكأني كنت في عالمٍ آخر

كهف من التيـه.. سـحابة مـن الزهـايمر.. لـم تكن مجـرد فكرة بـل كانـت رغبـة جامحـة اختطفتنـي بنيـة إغوائي... نهضـتُ لأرتـديَ ملابسـي، أنفضُ قيـودَ الـ"نعم".. لأنعم بجحيم الـ " لا."

□□ البعضُ يطرقُ بابَ جارِه ليسرِقَه

يتناولَ هاتفَه المحمولَ، يهم بالاتصال بصديقه محمود وفي داخله يتمنى أن لا يرد. بالأمس ردت عليه هى بدلاً منه لنسيانه هاتفه بينما زوجها بالخارج. لطالما جذبت انتباهَه برقةِ حديثِها وأناقةِ مظهرها.. يجدها مميزةً عكسَ زوجاتٍ كثيراتٍ بعد فترة من الزواج. رقيقة.. حتى دون بذل مجهود.. تمتلك وجهاً ملائكياً. حركاتُها، لفتاتُها مثيرةٌ بلا تصنع. بسيطةٌ لكن تأثيرَها طاغ.

-السلام عليكم.. أيوا يا أستاذ مازن، محمود خرج ونسي المحمول .. أول ما يرجع هقول له انك اتصلت.
-أوك تمام

لم يسعه سوى إنهاء المكالمة، لكنها شغلتْ تفكيرَه طوال طريق العودة. متعجباً.. كيف لدقائقَ مسروقةٍ من فم الصدفةِ أن تتركَه منتشياً هكذا!

في الصباح التقى بمحمود ليأخذه معه بالسيارةِ ليذهبا معاً للموقع. راح يتأملُه وهو جالسٌ بالمقعد المجاور.. محدثاً نفسَه: كيف لهذا(الخرتيت) أن يرتبط بتلك المرأة الملاك! هي كبقية النساءِ لكنها ليست مثلهن تماماً.. هكذا يراها.. محتشمةٌ كهديةٍ يريد فك كنهِها والتعرفَ على محتواها.

رنَّ هاتف محمود فالتفتَ إليه ولا زال ينظر أمامه، يسترقَ السمعَ محاولاً استكشاف الطرف الآخر علّها

تكون هي.. فقد ارتبطت في ذهنه بالهاتف. ترامى إلى أذنه صوتٌ رقيقٌ لا يخطئه: "هات معاك فاكهة وانت راجع". وبصوت خشن غاضب رد : اقفلي أنا مشغول.

يبدو أنها مستفزة لتتصل في أول اليوم لتطلبَ شيئًا بهذا السخف.. لكنه أيضا كان حاداً وجافاً بطريقة مبالغ فيها. هكذا كانت تتوالى الأفكارُ على رأس مازن يختلق لها الأعذار. هو الذي يقتنعُ بأنه سلطانُ زمانه وملكٌ ذو حنكة في معاملة النساء.. يَراهُنَّ أرهفَ من المعاملة بالضد أو حتى بالمثل. يجد أن أي شكوى من الرجل ضد المرأة يعد قصوراً منه.. وأن كل نشوز منهن يرجع لضعف قدراته هو وفشله في التحكم بزمام الأمور. ثغراتٌ بسيطة يدلف منها لقلوبهن. تَصَنع عدمَ الاكتراث، والاهتمامَ بالطريق... أنهيا اليوم وعاد كل منهما لمنزله .

في اليوم التالي قرر التقدمَ خطوةً أكثرَ إيجابيةٍ واتصل بصديقِه يسأله عن أوراقٍ خاصةٍ بإنهاء مشروع الأبراج والتي يشرف عليها كمهندس. كان يعلم جيداً كونها ليست بحوزتِه وأنها بالبيت وأنه لن يستطيع العودة من القاهرة لبلدته اليوم.. لذلك ذهب بنفسِه لمنزلِه ليأخذَها.

يثقُ في وسامتِه، متوسماً في بضع دقائقَ ينعم فيها بقربها ان يحظى بقبولٍ ما. صعدَ السلمَ برشاقةٍ وخفةٍ بجسم رياضي مرتدياً زياً أنيقاً يظهر تفاصيل كتفِه

العريض وبطنه المسطح. ضغط الجرس.. ففتحت ابنتُها ذاتُ الخمس سنوات.. ليصله صوتها :
-مين يا رانا؟
-دا عمو مازن يا ماما

أطلت عليه وعلى وجهها علاماتُ تعجبٍ، بملابس البيت.. عباءةٌ من قماش (جيل) رغم اتساعِها لكنها تلتصقُ بجسمِها المتناسقِ بطريقةٍ ما فبدتْ ملفتةً مثيرةً
-أهلا يا باش مهندس مازن
-أهلا بيكي يا مدام فرحة، أنا عارف إن محمود مش موجود، لكن في ورق مهم للشغل محتاجينه
-ورق؟ ورق ايه؟
-ورق المشروع الي احنا شغالين فيه
-مش عارفه هعرف أوصله ولا لا.. أنا مبفهمش أوي في شغلكم
ابتسم لها ابتسامةَ إعجابٍ محملةً برسائل تمنى ألا تخفى على أنثى:
-مش مهم خالص الورق
سرق منها ابتسامةً حاولت إخفاءَها قدر المستطاع
-لا لا استنى هجيبلك كام ملف طلعه منهم

غابت بالداخل عشرَ دقائقَ وعادت تحملُ خمسَ ملفاتٍ.. ناولته إياهم.. فسرق لمسةً خاطفةً من كفها وهو يتناولها

منهـا. فارتبكـت وتـورّدت وجنتاهـا ومـن ثـم تراجعـت للخلف.

استخرج الملفَّ المطلوبَ.. يمد يديه لها بالبقية.. لتأخذهم منه وتنظر له هذه المرةَ بنوعٍ من احتياج لذلك الوميض اللامـع بعينيـه.. تريـد مزيـداً مـن ذلـك الشـعور المفعـم بالرغبةِ في جاذبيتِها كـأنثى حتـى وإن لـم يعنِها مـا يتـأتى مــن توابــع ذلــك الجنــون أو مــا بعــد تلــك اللحظــاتِ الخاطفةِ...

ابتسـمَ لهـا وهـو يغـادرُ بعـد مـا تـركَ بصـماتِه علـى روحها.. لتتابعَه كالمشدوهةِ.. تتخطـى بـابَ الشقةِ تتابعُه بنظرها وهو يختفي... فتجري إلـى الشرفةِ تشـاهدُه وهو يبتعدُ بالسيارة.. لا تعلم عن مـاذا تبحث.. وكأنـه اختلس جزءاً من شغفها معه قبل أن يغادر.

□□ بدمٍ باردٍ

"مكسورة الجناح" كان هذا هو الشعورُ المتمثلُ بداخلها.. تنكرُ نظراتِه الموجهةَ صوبَها، يرصدُها لينقض عليها.. يهدهدُها بكلماتِه محاولاً إقناعَها بأنه فقط يريد أن يمرر يديه على جناحيها.. لكنها تشعرُ بوجودِ السكين خلفَ ظهره رغم عدم رؤيتها الصريحة له ..

نشأ بينهما حديثٌ صامت، يتبادلان الحكي من خلال النظراتِ يسألها: "ما الذي أخرجكِ من العش؟" فتجيبه بالنفي بنظرات متوسلة، وأنها لم تخرج بل هو من دعاها. تتسع حدقةُ عينيه أكثر... فتتراجعُ قليلاً تتحاشاه وهو يقتربُ منها، محاولةً استعطافَه وهي تخبرُه ولا زالت تحت تأثيرِ نظراتِه المثبتةِ عليها تماماً لا تُمهلها الفرصةُ ولو للحظةٍ لتُشيح بوجهها يميناً أو يساراً: "كنت دائمًا ما أتبعك ما الجديد؟ "

كادت تشعرُ بلهيب غضبِه يلفح ارتعاشةَ صوتها وهو يقول:
- الجديد أني سألقنكِ درسًا لن تنسيه، سأجعلكِ تكرهين ذكرى يوم قررت التصرف عكس إرادتي.
كانت كلمتُه الأخيرةُ عن الإرادةِ كالأمواج الهائجةِ تغزو رُوحَها لتعودَ بذاكرتِها للوراءِ قليلا ...تسخر منها الأيامُ على ما بذلتْ له .

(ماجد الأسيوطي) الذي أحبتهُ بكل ما فيها ومنحتهُ نفسَها عن طيبِ خاطر بعد ما أقنعَها بالزواج واستحالة الحياة بدونها.. ترى الصدقَ في كلماتِه أما أفعالُه دائما يملأها التردد.. يقيم حروبا إن فارقتْه، ويتخلى عنها وهي بحوزته.. عندما أخبرتْه بقرارها الحاسم (إما الارتباط أو الفراق) تلعثم، وألصق بها تهماً ملفقةً ليقنعَها بأنها المدانةُ وهو البريء.. صرخت، وتشاجرت، وبكت بحرقة.. تمادى حتى وصلت للإحباط ومن ثم الجنون فأعلنته متوفيًا وقالت له: "سأعتبرك مت ".

بالفعل قطعت كل وسيلة اتصال بينهما واختفت.. جن جنونه وبدأ يطاردُها . كاد أن يصيبَها بلوثةٍ من تضاربِ رداتِ فعله وغرابةِ موقفه، ولأولِ مرة يدخلها في حيرةٍ من ذلك النوع، لا تعلم إن كان يفتعل معها مشكلةً ليهرب، أم أنها بالفعل مَن أدخلته بتلك الدائرة من الظنون. حاولت أن تتحلّى بالقوة والذكاء فبادرته بحزم لكن داخلها لا زال يرتعد:

-ماذا تقول! أنا التي تصرفت عكس إرادتك؟ أنا لم أفعل ذلك.

كرجال المعتقلات يمارسُ عليها ألاعيبَه النفسية

-وتصرخين بوجهي!

قال كلماتِه الأخيرةَ وقد احمرت وجنتاه وبدا كشعلة ملتهبة. بادرته مذعورة:

-هل ستذبحني الآن؟ !

قالتها بهمس، وبحب.. تناشد فيه الحبيبَ الحنونَ لعل قلبه يرقُّ لها كالسابق فيجذبُها من ذراعِها ليحتضنَ خوفها ويملأ رُوحَها أماناً كما يفعل دائماً.. كالأسد الهائج غير مأمونِ العواقب وبحضورٍ وحشي سيطر عليه كلية... كمن على شفا أن يقتلَ صاحبَه والذي قام بترويضه وكان لا يهدأ إلا بقربه، يشيحُ بوجهه، يلتفت يميناً ويساراً، يمسح السطح بعيونه، فتسرع نحوه تستعطفُه في يأسٍ كمحاولةٍ أخيرة. تعلم مدى نرجسيتِه وعدمَ تقبلِه لفكرة رفضها له.. مما أفقدها القدرة على التحكم والتمسك بالهدوء، قالت باكية :

-هل ستقذف بي من هنا لأسقطَ من فوق خمسة أدوار!

لا يرد.. لكنه لا يزال يبحث عن شيءٍ ما بعيونه. يعطيها ظهرَه وكأنه يمنحها فرصة للهروب.. تستغل الفرصةَ وتجري لتفتح َباب السطح وتخرج بعد أن تغلقَه جيداً وتحكمَ الغلق بالقفل... فيلحقها متسلقاً سوراً قصيراً ويمسك بها من كتفها.

- "أتريدين تركي هكذا بكل سهولة!.. متى تعلمتِ الهروب... تتخيلين أنكِ ستتخلصين مني ببساطة.. وتقررين حبسي بالداخل يا لجبروتك"

تصرخ بوجهه في انهيار ويأس:

-ماذا تريد مني؟!

-لا أريد شيئا لكني لن اتركِ وشأنك

-لا تذبحني ما دمت لا تريدني، وأعدك أني سأموت كمداً بمفردي لترتاح مني.
-لن تموتي، ولن أتركِكِ. أنتِ ملكي.. ولن يذبحك أحد سواي إن توجبِ عليك الذبح، اه لو علمتُ أنكِ سلمت رقبتك لأحد سواي سأقتلكما معاً.

ولأنها تعرفه أكثر مما يعرف هو نفسَه، استفاقت لتُعمل عقلها.. تزيحُ هالةَ تأثيره عليها، نعم تعشقه وتنقاد له بكل حواسها لكنها ليست مستباحةً بهذه الطريقة.. لمست فيه خيطَ فقدٍ وأنه على شفا التخلصِ منها بالفعل ولا حيلة لها مع قراره بالتخلي، فقررت استحضارَ قوتها بدونه.. هيأت نفسها لانتزاع روحِه من روحها.. يعتصرها الألم ولكنه الحل الأخيرُ لإنقاذه أو شراء نفسها الهالكة لا محالة.

شعرت بيأس شديد.. شلالاتُ كُرهٍ تنهمرُ بداخلها.. أيقنت أنها في كل الأحوال خاسرةٌ.. رفعتْ رأسَها ونظرت لعينيه بثبات.. ترى شفاهَه تتحركُ لكنها لا تهتم لما يقول.. استدارت، متجهةً نحو السور.. وقف صامتاً يشاهدها وهي تتقدم. مفسحًا لها المجال.. يضغط على أعصابها.. كل ما أراده أن ترتميَ بين ذراعيه تحتمي بحضنه كما كانت تفعل دائما.. لكنها ألقت بنفسها من أعلى لتسقط من الدور الخامس جثةً هامدة.

□□ سقوط

يطير بما يحمل من معتقدات وافكار بعيداً عن أبناء حارته وجيله. الصراع الدائم القائم بين المفروض والواقع يكبر كعقبة تعترض طريقه نحو رحلات هبوط إلى عالم الدنيا الفاتنة، حيث حياة الرفاق وتطلعاتهم .

ترتعب روحه من حين لآخر حين تسلبهم الشهوات، فيبدو كـ مُنقذ لهم، لكنه يدرك تماماً أنه ينقذ نفسه أولاً.

في شوارع المدينة تقترب إحداهن، تسأله عن عنوان، ثم أخرى، ثم ثالثة. يتعجب مالذي يدفعهن لسؤاله هو دون غيره. مع هذا يَصدق النية ويُقدم لهن يد العون. تبتسم إحداهن، ترفع الأخرى حاجبها حين تراه. يزيد تعجبه. يحكي لصديقه، فيخبره بأمر الطاقة الجاذبة للنساء، ثم يردف : أنت محظوظ.

تتنازعه الرغبة في الاقتراب منهن. يمد قدمه، فتقترب إحداهن، ثم ثانية، وثالثة. يغريه أمر القلوب الخضراء النضرة. تهم به، يهم، لكنه يتذكر حاله قبل محاولات الهبوط، فيسعى نحو الصعود متسائلاً :هل أنا زاهد أم راغب؟ برئ، أم مشاكس؟ راهب ام ناسك ؟

تتصاعد أبخرة الإجابات كضمير خفي يسري من المخ إلى بقية أجزاء الجسد، ووعي نابض يجتاح روحه. يقول لنفسه : ليس من المروءة أن تؤخذ الفريسة بسلاح خفي، حتى وان كان هبة من الله.

□□ امرأة صاخبة

هادئة وبسيطة، لكنها ليست سهلة. لا تتكلف صياغة العبارات التي تحمل رسائلها للغير، بل تختصرها خاصة عندما تكون سعيدة. أما في حزنها تجدها صاخبة، تذهلك سخريتها .

امرأة مبهجة ذابلة .. تقاوم الكآبة بالإفيهات دائماً. تعتزل العالم أحياناً لتتجنب آلامه، لهذا تُتَهم بالغرور لكنها لا تلتفت.

ترى انهم يشعرون تجاهها بالحقد هكذا تحس في كل مرة يتهمونها بالتقصير معهم. يحلمون لو عاشوا يوماً واحداً دون أن يكترثوا لآراء الآخرين مثلها. تحس أنهم يقلدونها في كل شيء عدا ما يؤلمها. ترى انهم سذج حينما تستخدم قدراتها في اقناعهم بأنها راضية، بل أنهم أحبوا ذلك النقص لديها من فرط مظهرها السعيد..

تنجح في التمويه وتجعلهم يصدقون أن لا شيء يزعجها. تنجو من الموت قهراً تحياه كل لحظة، في حين انهم يتحسرون علي موت أحلامهم قسراً. لديهم ما ينقصها، لكن محاولتها الدائمة إظهار اكتمالها ورضاها ينعكس علي نفسياتهم قهراً حد كراهة ما بحوزتهم مادام لا يعنيها.
امرأة مثيرة للانتباه، مشتتة للفضول. تبعثر توقعات من يقابلونها، وتتركهم في حيرة. امرأة تعيش فوق قمم

الخيال، من نسج هؤلاء الذين ينسجون أعظم القصص لبطولاتها، حتي كرهتها النساء، وتمناها الرجال.

امرأة فاتنة فعلاً. قوية بغير عنف ، ولطيفة بغير سخف، رقيقة، لكنها لا تنكسر، حنونة لا تتكسر ، صامدة لكنها لا تكسر أحداً.
يتساءلون كثيراً: لماذا لا تُهزم!! لا أحد يجيب ولا أحد يمكنه ان يعرف السبب المباشر، حتى هي لا تريد أن تعرف لأنها في طريقها تمضي دون الالتفات لشيء أو لأحد

رآها أحدهم ذات مرة تعلق علي صدرها لافته مكتوب عليها :
(الوقت الذي أضيعه بالتفكير فيك عندما تزعجني، يمكنني استغلاله بارتشاف مشروب دافئ مع قطعة من الشوكولاه وبعض المكسرات)

امرأة تعرف كيف تستمتع بالوقت، لأنه هوايتها المفضلة. الاهتمام بمن تحب علي قائمة أولوياتها. هي له سندريلا الوجدان، لكنها غريبة الأطوار مع الآخرين. أحبته لأنه تحملها واستمر إلى جوارها رغم عثرات الحياة المهلكة. الآن فقط تفكر في انجاب أطفال وأحلام . تحسست رأسها واطرافها بدقة كمن يبحث عن شيء فقده، بعد أن أيقظها الطبيب النفسي المعالج من غفوتها على الشيزلونج.

# □□ العائدة من الموت

اختارت بسذاجة وتَسرُع، ولم تُوَفق، فتحملت حتى ذَبُلت وأصبحت عبارة عن شبح بلا روح يسير على قدمين..

تأقلمت، امتزجت بلون أيامها.. باهتة، هزيلة تتعلق بأهداب القوة.. خيوط رقيقة لازالت تربطها بالصبر.. تتهاوى من حين لآخر تستعين بقشة لتتجنب كسر ظهر جموح حصان ثورتها. تنفذ أوراق خططها البديلة يوما تلو الآخر. تندهش من إصرار عائلتها الاعتماد على سلميتها وجنوحها لمناطق هادئة تخلو من المشاحنات.. تنتظر انتهاء الزوبعة لتطل عليهم.. تتوسم فيهم تقدير ما تُقدِّم من حقن يومي للدماء..

فاض الكيل، توترت، أُحبطَت، سئمت وقست من بعد لين. صرخت فلم يستجيب لصراخها أحد. لجأت، فخُذِلت، ثم انتبذت ونأت بنفسها عن الجميع، معللة ذلك بان من هانت عليه، هان عليها ... ليذهب كل شيء الى الجحيم حتى نفسها.

## □□ رجفة الصدفة

خالية الوفاض تتأهب قبل خروجها من المنزل لمواجهة الحياة. تركن لفكرة الحرية، فلا تهتم بعابر يمر بجوارها يلتفت إليها، يرضي غرورها ويترك نظرة فحواها " أنتِ انيقة وجميلة اليوم". لا تعبأ بزميل عمل يطاردها ويتفنن بالتودد إليها. مريحة فكرة اللا ارتباط بأحد تجعلك ملكاً طاغية لا يهتم بشؤون العامة.

تؤمن بسياسة الأمر الواقع.. تميل للسقوط في عشق الأشياء والأشخاص بلا ترتيب.. أمس ذهبت لحفل عقد قران صديقتها.. وعند عودتها شعرت بشيء ما عالق بروحها.. وجه التصق بذاكرتها لم تستطيع تجاوزه.

عينان قويتا المقصد في حزم.. تشعان سحراً من نوع خاص. كلمات منثورة في الهواء حولها لامستها في غفلة من الجميع.. لم يتحدث إليها مباشرة لكنه رمى نرده بساحتها. لم يتصرف معها مثل البقية ومع ذلك رأته يصلح أن يغنيها عن الجميع.

كأنها تنتظره وتعرف انه قادم، وكأنهما على موعد لم يبرم علانية.. ارتجفت حين قابلته صدفة. تمنيت روحها فبادر صوته سبقته ابتسامة وجهه، فاستجابت، مندفعة نحوه بلا روية.. لا تعلم كنه ما يعتريها، لكنها تعلقت بمواثيق الصدفة التي هي تفوق ألف ميعاد.

□□ خذني معك

لـو جنحـتُ هـذه الليلـة مثلـكِ لضـجيج كرامتـي، سـأبيتُ وحيـدة.. هكـذا قالـت صـديقتي وهـي تنظـر لـي بعـين ناعسة، ثم ذهبت لتنعم بزوجها، تستدفئ به.

سـألت نفسـي : وهـل الكرامـة أشـد ألمـا مـن الفـراغ العاطفي... وان كان عليك الاختيار بين ألمين مـاذا أنـت فاعل !!!

كلاهمـا مؤلم، وجميعهـا اختيـارات مزعجـة.. قـررت أن أطوع معاناتي لصـالحي، تلك التـي تسحق البكـاء عنـدما انفـرد بنفسـي .. هـو القتـل إذن إمـا بالوحـدة أو بواسـطة شريك .

خرجت حواء من الجنة مع رفيق درب.. هي الرفقة إذن وهو الشعور بالدنيا بكل اشتهاءها. هي في اصـلها ليست بين الجدران ولا كل ما هو مغلق حتي لو كانت الجنة.

الحياة لعبة وجميع من بها أشرار.. يمتطون أخيلـة الفوز ويتركون لأمثالي الهزيمة المشرفة علنا..

هكذا كانت تتناحر الأفكار بداخلي، تضـربني بسياط من الحيرة حتي عقدت امري وامسكت بالهـاتف أجيب علـى رسالته الملحة:
"هيا انا بانتظارك مر علي وخذني لنقضي الليلة سويا"

□□ ببطء سأقتلك

التقيا صدفة. تحدثا قليلاً. تقاربا على مهل. احست ان شيئا ما يدفعها نحوه. نثر على فساتينها بعضاً من تفاصيل حياته. تسللت إلى روحه بخفة. اقتحمت عقله برشاقة. منحته طاقة إيجابية هائلة. منحها ثقة متناهية. جعلته يحب نفسه كملكٍ متوَّج.

اقترابه منها جعله منفتحا، ومقبلا علي الحيا، ولسبب غير معلوم تتزايد شهيته نحو النساء. أدركت هذا، فلم تحاول إيقافه، بل دفعت بالمزيد من العواطف والطاقة الفاعلة، فتورط في علاقات كثيرة.

امرأة هي ككل النساء. في وقت معين كانت تثور عندما تشعر برائحتهن على تفاصيل أيامه ولياليه. بدأت تهدد بالرحيل وهي على ثقة انها لو غادرت سوف تبهت حياته وتقل قدرته على التواصل معهن، فهي الطاقة النفسية والجسدية الباعثة على الحياة.

في لحظة إنسانية شفيفة قررت قتله ببطء.

□□ انتقامُ الساكنِ

كُنت بالأمس في ضيافة القدر الذي لا يمنعُ من وقوعِه حذر؛ أمسكت بالكوب الزجاجي ولم أنتبهْ لكونه (مشروخاً) ولا أعلم أيضا متى ولا كيف تم شرخه أهي الصدفة المبرمة بينه وبين حظي! أم كان ينتقم مني لكونه ليس _كوبي_ المفضل فعادة ما أتجاهله...؟ سألت مَن بالبيت فوجدتهم لا يعلمون عنه شيئاً وانضموا لي كونه غير مرغوب به. يبدو أننا تركناه حتى (انفلق).

رحت أغسله وبضمير أمرر يدي بداخلِه بكل ثقة، فأحدث قطعاً غائراً بكف يدي اليمنى .
كلما تذكرتُ ما حدثَ أتعجبُ.. كنتُ في بيتي، لم أذهبْ إلى مكانٍ وأمسكتُ بقطعة زجاج مكسورة وجرحتُ نفسي: ما هذا!

يبدو أنه قرر الثأر مني.. رمقتُه بنظرة يملأها الغيظ، ورحت أحدق به أرميه بوابلٍ من الكلمات المشفرةِ وكأني على دراية بلغته.. عاتبته.. وبخته.. ذكرته بأني لست ملومة على نبذه فهو لا يروق لي..

"أكنت ترمقني كلما دلفت للمطبخ لأعد شيئاً ما أحتسيه.. ما بالي أنا بك فلتشتعل الغيرةُ بينك وبين "مج" فاخر.. أو كوب بلاستيكي عملي أكثر منك...لا لا لكنك أوفر حظا، إننا نلقي به مع المخلفات إثر استخدامه"... وعلى الفور قفزت الفكرة برأسي.. نعم سألقيك الآن بصندوق

القمامة.. أتعلم لم أكن أحتقرك، في السابق. كنت أراك شفافًا صغير الحجم وتلك ميزة.. أتعلم أيضا هذا هو سبب عدم استخدامك بكثرة لأنك تناسب القهوة أكثر وأنا أفضل احتساء الشاي. هل تعلقتُ بي في المراتِ القليلة التي سكبت فيك قهوتي؟.. هكذا أنت كالرجال تلهث خلف من تتجاهلك أكثر ممن تفاعل معك.. ساخن عندما أقربك مني.. ساكن عندما أتركك لشأنك.. أتعلم لقد أنقذتك من يد أختي المجنونة كانت تود أخذك لمعمل الفيزياء لتحطيمك وإجراء تجربة عليك.. يا ليتني تركتها تأخذك

-أيوا يا ماما جايية حالا

ينادوني ليضمدوا جرحي للأسف لا أمتلك الوقتَ لتحطيمِك وجعلك فتافيت.. سألقي بك في سلة المهملات حالا.. يا مهمل

قيمتُك كانت هنا معنا.. لا أعتقدُ أنك ستجرح أحداً مرة أخرى لكنهم سيعثرون عليك هؤلاء الذين يبحثون عن الزجاج في صناديق المخلفات بالشوارع... وقد نلتقي ذات يوم بعدما يعاد تصنيعُك وتحويلُك لمنتج جديد.. لا تنسَ حينها أن تذكرني بنفسك.. هيا اذهب إلى الجحيم.

# المحتويات


يبدو حجرًا ..... ٧
فلتَنشَقِّ الأرضُ ..... ١١
ليتَها تَدري ..... ١٦
لِقـاءٌ ..... ٢٧
ليستْ شاردةً ..... ٣١
بعضٌ من الظنِّ ..... ٣٣
خيرٌ من ألفِ ميعادٍ ..... ٣٦
دونَ قلبٍ ..... ٤١
خُطواتٌ ..... ٤٦
هل تُعطيني بعضًا من وقتِك؟ ..... ٤٩
على الطريق ..... ٥١
لم يصدّقني أحدٌ ..... ٥٣
عصفوران وحجرٌ واحدٌ ..... ٥٥
مجردُ مُزحةٍ ..... ٥٩
ذاتَ الكعبِ العالي ..... ٦٢
وقوع الأمر ..... ٦٧
رغبة ..... ٧٠
البعضُ يطرقُ بابَ جارِه ليسرِقَه ..... ٧٣

بدمٍ باردٍ..... ٧٨
سقوط..... ٨٣
امرأة صاخبة..... ٨٥
العائدة من الموت..... ٨٨
رجفة الصدفة..... ٩٠
خذني معك..... ٩٢
ببطء سأقتلك..... ٩٤
انتقامُ الساكنِ..... ٩٦